
الطبعة الثانية
بحيرة العشق
عبدالله بوموزة
رواية

رواية

# بحيرة العشق


عبد الله بو موزة

MQEK3

MQEKQ



١٤٤٤هـ - ٢٠٢٣م

أهدي هذا الكتاب إلى

بهجة روحي وشخصيتي المفضلة «خلود»

التي جسدت جميع الآلام التي واجهتها في كتابة

الرواية، ومحت كل المخاوف التي أظن أنها ستواجه

أحدكم يوماً ما.

خبايا الحياة كثيرة، وأصولها قليلة، ووجودها
لا معنى له بقلوبنا فقد نصدقها أو لا نصدقها،
ولكن لن تكون الحقيقة خفية!

(المرحلة الثانية)

## جنون العشق

الموت الأحمر قبلة حمراء، دماء وسط الأفراح،
لعنة بين الأرماح، سم بين الخطاف، كذبة بين
الأوجاع، طعنة بالصباح!

الرواية مشحونة بمشاعري؛ فقد كنتُ أكتبُ
عندما كنت أغضبُ وأحزن وأشتاقُ، لهذا أرجو أن
تصل إليكم تلك المشاعر حينما تقرؤون.

شكرًا لكل من قرأ لي،
واستمرّ بقراءة كلّ أعمالي، وهو يتمتع.
(المتعة هي الرسالة التي أريد أن أبعثها
في الكتابة)
(أنتم وقودي بالكتابة)

«أنا تلك اللعنة التي أصيبك بها بالحب، وآخذ
روحك بالقتل!»

/خ**/

# البداية

عاصفةٌ رمليّةٌ عاتية، هواء قوي يحرك خصلات صوف الخراف، فتبدأ تركض بعيداً عن راعيها،

وكلب أبيض اللون ذو شعرٍ كثيف يركض خلفهم؛ ليدلهم على البحيرة التي سيشربون منها.

لم يأخذوا وقتاً طويلاً، وخفّت وتيرة ركضهم المتواصل، وبدؤوا بشرب المياه.

رجل كبير في السن ذو ستة عقود، يلبس ثوباً أبيض متكسراً من كل النواحي، له شعر كثيفٌ، ولحية طويلة بيضاء، وتحت عينه اليمنى ندبة جعلها والده تذكاره إليه.

عاد الكلب إلى الرجل الذي انحنى بصعوبة وبدأ يداعب رأسه بخفة، ثم رفع جسده إلى الأعلى، وبدأ ينظر إلى السماء، فكانت الغيوم تجمع شتاتها لتبدأ تخرج ما في داخلها...

ناجى الرجل نفسه: «يا رب، عسى أن يكونَ خيراً عَميماً.»

أنزل رأسه، ونظر إلى ماشيته التي لم تتجاوز خمسة خراف يحاول المتاجرة بها؛ ليَعيل عائلته المكونة من بنته وزوجته المريضة طريحة

الفراش، حرك رجليه، والتعب بادٍ عليه، ابتعد عنهم، والكلب بجانبه، فقال له: «حان وقت الرحيل».

ينبح الكلب على الخراف في إشارةٍ صريحةٍ منه إلى أنّ وقت العودة قد حان دون جِدالٍ؛ فهم يعرفون العواقب الوخيمة التي ستحدث لهم لو هرب أحدهم من الكلب.

وصل الرجل إلى خيمته، ورأى فتاته تمسح على حصان كبير وتقبّله بين الفينة والأخرى، وبلغَ مسامعَ الفتاة نباحُ الكلب على الخراف، فالتفتَتْ ورأت والدها مُرهقاً، فذهبت إليه وأمسكت يده وقبلتها، ثم وقفت على أطراف أصابع قدميها وقبّلت رأسه:

«أبي، يمكنك العودة إلى داخل الخيمة، سأضع الخراف في الحظيرة»

مد الأب يده نحو ابنته، ومسح على رأسها، وقال: «بارك الله بك».

ابتسمت الفتاة، وابتعدت عن والدها، وبدأ الكلب بملاحقتها والدوران حولها بحماس شديد، والفتاة تبتسم بين حينٍ وآخرَ وتمسح على رأس الكلب بحنان، ثمّ وصلت إلى غرفة مظلّلة للخراف تحميهم من أشعة الشمس القوية أو من هطول الأمطار الغزيرة

التي تحملُها الغيوم، فأغلقت الغرفة ووضعت قفلاً كبيراً على الباب لحماية الخراف من السرقة، نظرت إلى الأرض وكان الكلب ينظر إليها ونبح بقوة، ثم ابتسمت الفتاة وكأنها فهمت ما يريده:

«هيّا تعال لتأخذ جائزتك لهذا اليوم».

نبح مرة أخرى، ثم سبقها نحو المطبخ، وبدأت الفتاة تركض برشاقة وخفة حتى وصلت إلى المطبخ، فأخرجت له عظمة فيها بقايا لحمٍ من عشائهم ليلة أمس، وبدأت تلوِّح بها، والكلب يقفز فرحاً وينبح، ثمّ أوقفت يدها ونظرت إليه قائلةً:

« هل تريدها؟»

نبح بقوة، رفعت يدها ورمت العظمة بعيداً، وبدأ الكلب بملاحقتها حتى وصل إليها، وبدأ يلعقها ويبعد الرمال.

اتجهت الفتاة الحسناءُ البالغةُ من العمر ثمانيةَ عشرَ ربيعاً نحو الخيمة، وقد كانت فاتنةً، جميلة الملامح، معتدلةَ الطول، بيضاء البشرة، شعرها طويل أسود فاحمٌ منسدل على كتفيها، وعلى خدّها شامة صغيرة.

أمّا ثَغرُها فقد كان صغيراً مذهلاً، وعيناها البنّيّتان الساحرتان تدهشان كلّ من يراها، فيحسبُها الناظرُ مَلَكاً على الأرض في هيئة

بشرٍ، وما كان ذلك الجمالُ الملائكيّ الفاتن إلّا ليملأ قلوبَ الفتيات إعجاباً أو غيرةً.

دخلت الخيمة، فرأت والدتها تطلق أنيناً وكأنّ الألم قد اجتاحها بقوة أشدّ هذه المرة، نظر والدها إليها وقال: «تعالي هنا يا خلود».

قالت بصوت خافت: «أمرك» وصلت إليه وجلست بجانبه، ووالدتها لم تتوقف عن الأنين:

«اليوم سأذهب مع والدتك إلى المستشفى الذي في داخل منطقة الهفوف. إنه ليس بعيداً من هنا وأتمنى ألّا نطيلَ الغياب عنك، وأرجو منك الاعتناء بالبيت جيّداً»

بدا الحزن على وجه خلود، ونظرت إلى والدتها، وقالت: «أرجو أن تصبح والدتي بخير؛ فأنا لا أريد شيئاً من هذه الدنيا سوى سلامة والدتي» ثمّ نظرت إلى والدها، وأكملت: «وسلامتك أيضاً، اطمئنّ ولا تقلق عليّ»

مسح الأب على رأس خلود، وقال:

«أحسنتِ... لا تنسي قبل غروب الشمس أن تأخذي الخراف إلى البحيرة لشرب الماء، ولا تتأخري في الخارج، ويجب أن يكون سلاحي لديك في كل مكان تذهبين إليه. هل فهمْتِ؟»

ابتسمت خلود وقالت: «سمعاً وطاعةً»، ثمّ نهضت وذهبت إلى زاوية الخيمة وأمسكت بالبندقية، وعادت إلى جانب والدها ووضعت البندقيةَ بجانبها.

مد الأب يده قرب عنق زوجته، وبدأ يقيس نبضاتها، فكانت بطيئة، وهذا دليلٌ على أنّ حالتها سوف تسوء.

نهض من مكانه، وأمسك بيد زوجته ورفعها، ونظر إلى خلود قائلاً:

«اجلبي عباءة والدتك، سوف نذهب الآنَ إلى المستشفى».

نهضت خلود بسرعة من مكانها، واتجهت إلى الزاوية اليسرى، وأمسكت بعباءة والدتها، وسمعت والديها يتهامسان، ولكنها لم تسمع إلّا بعض الحديث:

«يجب أن نخبرها!»

«ليس الآن؛ فهو يحميها، أو أنتِ ضحّيتِ به لأجلها»

«إنها تستحق الحماية أكثر مني، أتمنى ألّا يخذلها يومًا ما!!»

أكملت مشيها إليها، وألبستها بسرعة، وذهبت إلى الجهة الأخرى وأمسكت بيد والدتها لتساعدها على المشي...

نظرت الأم إلى خلود، وقالت لها:

«كوني بخير»

أومأت خلود برأسها، وقالت: «لا تقلقي. أعدك أنّي سأكون بخير.»

حاولت الأم أن تبتسم؛ ولكن ملامح وجهها كانت تدلُّ على التعبِ والمرض الشديدين، فقد تعرّقت وبدت ضعيفةً ذابلةً صفراءَ، ثمّ مشوا إلى سيّارة «جيب» قديمة الطراز وصغيرة الحجم، فأدخلت والدتها إليها.

أخرج الأب مفاتيح سيارته، وبدأ بتشغيل المحرك؛ ولكن السيّارةَ لم تشتغل من المرة الأولى، فحاول مرة أخرى ولم تشتغل، وحاول مرة ثالثة دون جدوى. اجتاح الغضب الأبَ، وضرب مقود السيارة قائلاً:

«يا ألله، ساعدني» ثم حاول مرّةً رابعة ونجح بتشغيلها فابتسم.

تحرك بالسيارة مبتعداً عن الخيمة، وخلود واقفةٌ تنظر إليهما وهما يبتعدان عنها، ولم تتحرك إلى أن اختفيا وغابا عن ناظريها.

وبينما هي عائدة إلى الخيمة، بدأت السماء تمطر، فابتسمت ودخلت إلى الخيمة، ثمّ ذهبت لتأخذ سجادة الصلاة وفرشتها

ولبست ثياب الصلاة، ثم سجدت وبدأت تناجي ربّها وتدعو بصوت مسموع...

قبل الغروب بساعة، خرجت من الخيمة ذاهبةً إلى حظيرة الخراف، ففتحت القفل الذي وضعته بالمفتاح، وكان الكلب بجانبها، فتحت الباب وقالت له: «أخرجهم».

دخل الكلب، وبدأ بالنباح عليهم حتى خرجوا، فقادهم إلى البحيرة، وخلود خلفهم تحاول اللحاقَ بهم.

وبعد عشر دقائق، وصلوا إلى البحيرة، وبدأت الخراف بالشرب من ماء البحيرة العذب، ثمّ تقدمت خلود إلى البحيرة وجلست بجانبها ومدت يدها وشربت قليلاً، ولكنّها سمعت نباح الكلب القوي بسرعة، فنظرت إلى الخراف وبدأت تعدّهم، فوجدت عددهم كاملاً.

نهضت ونظرت إلى الكلب الذي ينبح بجانب شيء ما، تقدمت خلود بفضول، وما أنْ وصلت حتى صُدِمتْ وصُعِقتْ برؤية جثة غير متحلّلة.

ذهبت إلى الجثّة، وحركت الجسد ظنّاً منها أنه سوف يستيقظ؛ ولكنه لم يتحرك، فشعرت بالخوف والرعب، ولم تعرف ما الذي

ينبغي عليها أن تفعله في هذا الموقف الصعب، أمّا الكلب فلم يتوقف عن النباح الذي أزعجها كثيراً، ودون أن تشعر قالت بصوت عالٍ:

«اخرس!»

توقف الكلب عن النباح، وانحنى بخوف ورفع ذيله وبدأ يهزه، فقالت له دون أن تنظر إليه: «أعد الخراف إلى الحظيرة»

اتّجه الكلب نحو الخراف، وبدأ بالنباح عليهم ليعيدهم إلى الحظيرة، وفي الجهة الأخرى كانت خلود ممسكة بيد الشاب القتيل بعد أن أمعنت نظرها بملامحه الطفوليّة، ثمّ جرّته إلى الخيمة بعَناءٍ شديد، فقد كانت الصخور الكبيرة تعرقلُ محاولتها؛ ولكنها تمكّنت من تجاوزها بصعوبة بالغةٍ، ومضت خمس دقائق وهي تجرّه، فعاد الكلب وبدأ يساعد سيدته على سحب جثّة الشاب، وبعد أن وصلت إلى الخيمة وضعت الجثّة في وسطها، ثم تركتها خائفة لا تعلم ما يجب أن تفعله.

# الفصل الأول

لقد كان شبه متجمد متوقفًا بأعين خالية، يتخيل أنه بالصحراء الخالية، ومع الهواء النقي يلتف حول المكان بلا شعور وبشكل مفاجئ اجتاحه شعور غريب شعور يخبره بالخطر القادم، ولكن لا يعلم من أين أو متى.

نهض عبد الله من نومه، وجسده مبتل من عرقه، بدأ ينظر في أرجاء غرفته والشعور أنه مراقب لم يرحل، فنظر إلى السقف والتقت عينه أول مرة بتلك العلامات الغريبة ولكن لم يهتم كثيراً لها، وعاد ذلك الشعور الذي يأتيه كل يوم، شعر أنه بمكان جديد لم يدخله قط، تلفاز ضخم، مكتبة ضخمة ممتلئة بأندر أنواع الكتب التي كان يحب جمعها والنظر لها، وأريكته المتوسطة الحجم فوقها صحن صغير، وفيه ملعقة وشوكة كبيرتان، وحولهما بعض المعكرونة ذات الصلصة الحمراء، وبعض القطع من كرات اللحم، فهي الأكلة المفضلة له والتي تعدها الخادمة.

نهض من السرير، فرأى كتاباً لونه أزرق بجانبه، وضعه تحت مخدته، وبدأ بترتيب السرير مبتسماً، وحين انتهى من ترتيب الفراش، ذهب إلى الأريكة ومد يده نحو الصحن وأمسكه، ثم مشى إلى باب غرفته وخرج فاستقبله رواق طويل، وبجانبه العديد من الغرف، وكل غرفة لها طلاء خاص بها.

أغلق باب غرفته وبدأ يمشي، وفي المنتصف توقّف لينظر إلى الثريّا الضخمة المعلّقة التي تشعّ نوراً أصفر، أكمل مسيرته، وعيناه تنظران إلى الأمام، حتى وصل إلى سلالم طويلة وبدأ بالنزول ببطء شديد، ترك إحدى يديه ممسكة بالصحن والأخرى جذبها نحو الجدار، وبدأ يستشعر ملمسه الناعم. وبعد ثوانٍ قليلة، جذب رجله إلى آخر درجة، ووصل إلى الدور السفلي المكوّن من صالة ضخمة، وفي منتصفها ثريّا ضخمة مطلية بالذهب الخالص، اتجه نحو المطبخ ثم وضع الصحن على طاولة الطعام بإهمال.

«عبد الله، ماذا تفعل هنا؟»

أتى صوت رقيقٌ من خلفه، فلم يلتفت في البداية واكتفى بالابتسامة، ثمّ التفت فوجد أمامه امرأة جميلة بدت عليها آثارُ السنين، وجه مجعد، وشعر أسود طويل، وعينان عسليّتان واسعتان ...

اتجه عبد الله نحوها، ثم ابتعد عنها ولم يجبها بشيء، تحدثت المرأة مرة أخرى:

«يا بنيّ، هل تريد أن أعدّ لك الإفطار؟»

لم يتوقف ليجيبها، وأكمل سيره، وقال بصوت منخفض: «لا،

شكراً.» ابتسمت والدته لهُ، وقالت:

«حسناً، كما تُريد.»

اتجه إلى باب الخروج وفتحه؛ لتستقبله خيوط الشمس الدافئة، ومع هواء منعش لطيف تحرّكت خصلة شعره ثم عادت كما كانت. بدأ ينظر أمامه، فرأى حديقة ضخمة ممتلئة بأجود أنواع الأشجار والورود والسيارات الفخمة. وبعد أن أمعن النظر، رأى شقيقته الكبرى، وبجانبها نساء يلبسنَ ملابس بيضاء، ولكلٍّ منهنّ مهمةٌ تؤدّيها؛ فواحدةٌ ترتّب شعرها، وواحدةٌ تنظف أظافرها، وأخرى تختص بعمل المكياج لها، تقدم نحوها، ودقات قلبه تتسارَعُ مع شعورٍ واضح بالضِّيْق، ولكنه قاومه وقال بابتسامة:

«أهلاً أهلاً جود.»

التفت جود ببطء شديد، وما أنْ تلاقت أعينُهما حتى ابتسمت قائلةً:

«أهلاً أخي، هل أنت هنا لأخذ الخادمة؟»

نظر إليها، ثم التفت إلى الخادمة الآسيوية وقال:

«نعم نعم، أريدها أن تعد لي الإفطار.»

ابتسم وبدأ رأسه يهتز بشكلٍ تلقائي.

التفتت شقيقته نحو الخادمة، وقالت لها:

«اذهبي وأعدّي لأخي الإفطار الذي يريده.»

ثم ابتسمت بخبث، وهي تنظر إليه، وأكملت: «كل ما يريده افعليه لهُ.»

«جوود، تعالي إلى هنا.» أتى صوت رجل من بعيد وكان صوتاً يبدو عليه الانزعاج من شيء ما.

نهضت جود بسرعة، وابتعدت الخادمات عنها بمسافة بسيطة، وبعدها قالت بصوت خافت:

«يا للهول! لقد عرف!»

ركضتْ مسرعةً متجهة نحو الصوت الذي خرج، فتقدمت الخادمة نحو عبد الله وأمسكت يده، ثم اتجها إلى المنزل وذهبا إلى المطبخ، جلس بقرب طاولة الطعام، وقالت الخادمة له:

«سيدي، ماذا تريد أن تأكل اليوم؟»

تجهّم وجهه فجأة، وقال:

«مثل مثل العادة» ثم عاد يبتسم، لم تتغير ملامح الخادمة؛ فهي

معتادة على التقلبات المزاجيّة التي تصيب عبد الله، بدأ يسمع صوت خطوات من خلفه، واشتمّ رائحة بسيطة، وقد عرف من أين تنبعث، فقال:

«أهلاً حمد، هل هل تريد أن تفطر معي؟»

تقدم حمد من جنبه ولم يحادثه؛ فقد كان مستعجلاً، فتح الثلاجة وأخذ تفاحة وموزة وضعهما في جيب ثوبه وخرج بعجلة، فقال عبد الله بصوت خافت:

«حسناً، يبدو أنّ حمد لا يريد الإفطار معي.»

اتجهت الخادمة باتجاهه وربتت على كتفه بخفة، ثم ابتعدت وفتحت أحد الرفوف وأخرجت الدقيق، ثم أخذت صحناً دائريّاً بجانبه، وبعدها اتجهت إلى الثلاجة وأخرجت بيضتين ووضعتهما بقرب الدقيق، ثم فتحت الرف الذي في الأسفل وأخذت الزيت، ثم اتجهت إلى أحد الرفوف وفتحته ثم أمسكت ببودرة الفانيليا ووضعتها بجانب الزيت.

التفتت نحو عبد الله الذي كان ينظر إليها بحماس شديد، ثم عادت بنظرها إلى مغسلة اليدين ذهبت لها وفتحت الصنبور، فنزل الماء بغزارةٍ، خففت من حدة الماء، وبدأت تغسل يديها، وبعد أن

انتهت أغلقت الصنبور، وأمسكت منشفة بيضاء جففت بها يديها، وتناولت الدقيق وأعدّت لعبد الله الفطور المفضل عنده «البان كيك».

بعد عشر دقائق، وضعت صحناً دائرياً، فيه أربع طبقات من الكيك الطري..

بدأ يأكل بشهيّةٍ شديدة وكأنه يأكلها أوّل مرّة، رفع رأسه فرأى الخادمة واقفة تبتسم له، لم يتمكّن من مقاومة نفسه، ونهض عن كرسيه وحضن الخادمة، ثم بدأ بتكرار كلمة (شكراً) عدة مرات، فجاء صوت من خلفه:

«يا ليتك تحضن والدتك هكذا يا أيها الشقي».

استدار إلى جهة الصوت، ورأسه يهتزّ، فرأى والدته التي تقدمت نحوه وتوقفت بجانبه:

«اليوم سنذهب للتخييم مثل عادتنا عند الساعة ٢:٣٠، سنكون جميعاً مستعدين للرحيل».

رفعت والدته يدها، وبدأت تمسح على شعره، ثم جلست على أحد الكراسي التي في المطبخ، وقالت بصوت عالٍ قليلاً:

«أعتقد أنّ الوقت قد حان»

نظرت إلى الخادمة التي خافت قليلاً، ثمّ تابعت حديثها:

«لكي تعملي لي البان كيك التي يعشقها ابني»

ابتسمت الخادمة وقالت:

«حسناً، لك ذلك»

ابتسمت الأم، وبدأت تنظر إلى وجه ابنها الذي جلس وأكمل وجبته المفضّلة...

وبعد أن انتهى، نهض عن كرسيه وغسل كلتا يديه بالصابون الخاص به الموجود في كل مغسلة بالمنزل، ثم مر بجانب والدته التي رمقته بابتسامة، وهي تمضغ البان كيك بصعوبة وكأنها لم تتقبله، تجاهلها ومشى مبتعداً، ولم تمضِ ثوانٍ قليلة حتى سمع صوت صراخ يتردد في أرجاء المنزل:

«ما هذه التي صنعتِها لابني؟ مذاقها سيّئ جدّاً، كيف يتحمل أن يأكلها؟!!»

وضع كلتا يديه المبلّلتين بالماء في أذنيه، وأكمل مشيه إلى السلالم، ثم ذهب إلى غرفته...

أغلق الباب خلفه، ثم أقفله عدة مرات، واتجه نحو الأريكة

وجلس، وبدأ يهز رأسه بشكل متكرر وبقوة وفي داخله عدة أفكار:

«هل ذوقي غير مناسب؟»

«لماذا تصرخُ والدتي ؟»

«هل هي غاضبة مني؟»

نهض عن الأريكة وسقطت دمعة من عينه، ثمّ ذهب إلى النافذة وبدأ ينظر إلى الحديقة والأشجار الكبيرة، اتّجه نظره إلى البوابة، فرأى الخادم يفتح البوابة ويستقبل امرأة منحنية الظهر، وبجانبها طفل يحتضن رجلها، دخلت وبدأت تتقدم إلى مجلس كبير للنساء، وكانت والدته هناك.

«والدتي ستساعد هذه المرأة مع طفلها.»

هذا ما خطر بباله.

ابتعد عن النافذة، واتّجه نحو المكتبة الكبيرة، وبدأ يبحث في الأرجاء عن كتاب أزرق قد تذكره، ولم يجده بعد بحث سريعٍ. بدأ يتعرق، والتوتر يشتد لديه، وبعد عدة ثوانٍ أخرى بدأ يسقط الكتب دون شعور، وهو يبحث دون جدوى، فلم يتحمّل هذا الضغط الذي أصابه، وبدأ يضرب رأسه ويصرخ مكرراً:

«الكتاب أين هو؟ الكتاب أين هو؟ لونه أرزق.»

وضع يديه فوق رأسه، وبدأ يهزه ويردد الكلمات وازدادت صرخاته عُلوّاً، سمع صوت طرق الباب وشخصاً ما يحاول أن يفتحه، ولكنه كان مُقفلاً، ولم يتوقف عن الصراخ، واشتدت الضربات، وكان صوت شقيقته جود تكرر جملة:

«عبد الله، تنفّس تنفّس. عبد الله، أخبرني عن ثلاثة أشياء لا يمكنك أن تخفيها، أخبرني عنها.»

بدأت صرخات عبد الله تضعف، وضربات قلبه تتسارع، وقلّت ضربات جود على الباب، ولكن كلماتها لم تتوقف:

«ثلاثة أشياء لا يمكنك أن تخفيها.»

توقّف عن هز رأسه، وذهب إلى الأريكة ببرود وجلس، ثم قال بصوت عالٍ مجيباً:

«الشمس والقمر والحقيقة.»

قالت جود بفرح بعد ما علمت أن شقيقها قد هدأ:

«أحسنت يا شقيقي، أحسنت.»

تذكر بعدها أين وضع كتابه، فنهض عن الأريكة ومسح بكف

يده دموعه، ثم اتّجه إلى سريره ومدّ يده إلى مخدّته البيضاء ورفعها، فوجد الكتاب، ابتسم وأمسكه وأعاد المخدّة إلى مكانها، ثم ذهب إلى الأريكة وجلس وبدأ يقرأ...

كان يقرأ بإمعان، ويعيد قراءة الكلمات عدة مرات؛ لكي تترسخ في عقله.

«طق طق طق» سمع صوت الباب يطرق عدة طرقات، فنهض عن الأريكة وفتح الباب ليجدَ والدته واقفةً، فقالت له بسرعة:

«هيّا، بعد نصف ساعة سنذهب. هل أنت مستعدّ؟».

لم يُبدِ أي حماس بوجهه قائلاً لها:

«ليس كثيراً؛ فأنا متحمّس للعب بالرمال.»

ابتسمت والدته، وقالت:

«هذه المرة يا حبيبي سنجعلك تلعب بالرمال وحدك، ونحن نثق بك، فلن تذهب إلى أي مكان.»

صمتتْ، وعلَت ابتسامةٌ وجهَه: «صحيح؟»

أومأ إليها برأسه موافِقاً، ثم أغلق الباب بوجهها، وذهب إلى مكتبته وبدأ بترتيبها بسرعة ووضع الكتب في أماكنها الأساسية،

فلكل كتاب موضعه الخاص، وبسبب سقوط بعض الكتب واختلاطها معاً كانت إعادة ترتيبها أمراً صعباً، ولكنه تمكّن بذكائه من إنجاز ذلك؛ فكلّما أمسك بكتاب كان يتذكّر منه معلومة، فيقول بصوت عالٍ:

«هذا كتاب التاريخ الذي تحدث عن فتح الأندلس» ثم يمسكه ويذهب به إلى كتب التاريخ ويضعه، ثم ينحني ويمسك كتاباً آخرَ يقرأ عنوانه، فيقول:

«هذا يتحدث عن الأمراض العقلية» فيتجه إلى رفّ الكتب الطبيّة ويضعه، واستمرّ هكذا إلى آخر كتاب موجود، وما أنْ وضع آخر كتاب على الرف حتى خطر له خاطرٌ، فقال في نفسه:

«تبقّى خمس دقائق!»

ركض مسرعاً إلى الباب وفتحه، ثم بدأ ينزل الدرج بسرعة عالية، ورأسه يهتز، حتى وصل إلى باب الخروج بلا نَعْلَينِ، فرأى أمامه سيارة فخمة سوداء متوقّفة، صعد ورأى شقيقه ينظر إليه بغضب، ثم نظر إلى رجليه قائلاً:

«مرة أخرى؟!... حسناً لا تقلق، لديّ حذاء سيناسبك.»

ترجّل من السيارة واتّجه نحو الصندوق الخلفي وفتحه، ثم أخرج حذاء وعاد به إلى السيارة، وسلّمه إلى عبد الله.

في البداية، لم يتقبل هذا الحذاء؛ ولكنّ نظرات شقيقه المرعبة أخافته كثيراً، وجعلته ينتعلُ الحذاء دون اعتراض، فُتح الباب الخلفي وصعدت شقيقتهما جود إلى السيارة، ثم أغلقت الباب...

تحدّث الشقيق الأكبر، وهو يمسك المقود ويسيرُ بطيئاً متمهّلاً:

«أمي أين هي؟»

نظر إلى المرآة، فرأى شقيقته ممسكةً بهاتفها وتكتب، وبعد أن انتهت رفعت رأسها ونظرت إليه مجيبةً:

«إنها تعمل شيئاً ما من أجل النساء اللواتي يأتينَ إليها، وبمجرّد انتهائها ستأتي مع والدي وبعض الخدم... لا تقلق، فكل شيء هناك جاهز من إعداد الخيمة والأكل و...»

توقف الشقيق الأكبر عند البوابة الرئيسة، وتقدم خادم ضخم البنية، حليق الرأس، يلبس ثياباً سوداء، فضغط برجله الدعاسة ومضى مبتعداً عن المنزل...

ولم تمضِ دقائق معدودة حتى بدأت البنايات بالظهور، وأغلبها ملكٌ لهم، كان عبد الله ينظر إلى البنايات بترقب وحماس شديدين؛ دون أن يهتم بصراخ جود وشقيقه الأكبر.

«أنتِ غبية جدّاً؛ فكيف تجعلين رجلاً عجوزاً يصطدم بالسائق، وتتركينه يرحل؟! لماذا لم تتصلي بوالدي؟!»

تأففت جود، وقالت بتهكّم:

«وكأنك أنتَ من سيدفع المال لإصلاح السيارة.»

ضمت يديها عند بطنها، وعرفت أنها اقترفت خطأ فادحاً، ولكنّها تابعت حديثها:

«أنتَ تحصد ما زرعه والدي من عائدات وأجور الشقق والمنازل والشركات التي لديه... وهو لا يثق بك؛ لأنك شخص قذ...»

لم يمكّنها من أن تكمل جملتها الأخيرة، فضغط على دواسة التوقف بقوة، وجعلها تصطدم بالكرسي الذي أمامها، أمّا عبد الله فقد تحرك قليلاً ولكنه لم يصطدم بشيء؛ لأنه يضع حزام الأمان...

ترجّل الشقيق الأكبر من السيارة متّجهاً إلى الباب الخلفيّ الذي بجانب عبد الله وفتحه، ثم أمسك بشعر شقيقته جود وأسقطها على الأرض بغضب وعنفٍ:

«حسناً، أنا قذرٌ؟! ها... أنا قذر؟!! اجعلي والدك الذي لا يثق بي يأخذك معنا يا أيتها اللعينة.»

حاولت جود النهوض، ولكنه ضربها على وجهها بقوة، فسقطت ووضعت كلتا يديها على أنفها، أمّا شقيقها فقد ركب السيارة ورحل مبتعداً عنها.

رأتْ حولها تجمّعاً غريباً من الرجال والأطفال وبعض النساء، وكانوا ينظرون إليها بتشاؤم واستغراب، ثمّ نهضت من مكانها وأبعدت يديها، وقالت بصوت عالٍ:

«إلامَ تنظرون؟! عليكم اللعنة!»

انحنت وأمسكت بهاتفها، وحقيبتها ذات الماركة الفاخرة....

# الفصل الثاني

# الصحراء

«هيّا، انزل من السيارة.»

قال الشقيق الأكبر لأخيه عبد الله الذي بدا خائفًا من شقيقه،

فترجّل من السيارة ودخل إلى الخيمة الكبيرة، فاستقبله العديد من الخدم الذين انحنوا لدخوله، ثم تقدم أحدهم ممسكاً بصحن متوسط الحجم فيه علب ماء صغيرة، أعطى عبد الله واحدة، ثم ابتعد عنه وبدأ يقول في نفسه ولكن بصوت مسموع:

«حمد إنه غاضب، حمد غاضب، يجب ألّا يتحدث أحدٌ معه!»

عاد إلى جهة الدخول إلى الخيمة، ثم نظر متربصًا إلى شقيقه الذي كان في الأرض بمكان يحفر به ولم يأخذ وقتاً طويلاً وأخرج علبة حجمها كبير بها شيء سائل، لم يهتم عبد الله بما رأى، خرج وخلع نعليه على الرمال وبدأ يستشعر دفء الرمال، استنشق هواءً قويّاً، ثم نفثه وذهب خلف الخيمة وجلس على الأرض، وبدأ يحفر حفرة تكفي أن يدخل رجليه فيها ليدفنهما، بعدها بدأ ينظر حوله بإمعان ورأى بعيداً بمسافة ليست بطويلة عدداً كبيراً من السيارات التي وصلت قرب الخيمة، ثم توقّفت، ومن إحدى السيارات ترجّل

رجل أصلع الرأس، فذهب إلى السيارة المتوقّفة أمام الخيمة وفتح بابها لتخرج والدته، ثم ابتعد الرجل وذهب نحو الباب الذي بجانب السائق وفتحه ليخرج والد عبد الله، وبدأ يتقدّم إلى الخيمة، وهو يشتعل غضباً، وبجانبه جود ممسكة بيده وتبكي، وعندما دخل والده صرخ بصوت عالٍ:

«أيين حمد؟!!»

وضع عبد الله كلتا يديه عند أذنيه، وبدأ يهتز خوفاً من صراخ والده، وهو مغمض عينيه، وفجأةً ربّتت يد حانيةٌ من خلفه على ظهره، وخرج صوت رقيقٌ قائلاً:

«سيدي، هل تريد أن نذهب في جولة بعيداً عن هنا؟»

شعر بالأمان بعد أن سمع صوت خادمته، أبعد يديه ونهض، ثم أخرجَ رجليه من الرمال التي دفنهما بها، وبعد ذلك أمسك بيدها وبدأ يبتعد، ورأسه يهتز لا شعوريّاً، مبتسماً بين الفَينة والأخرى، وبعد أن ابتعدا بمسافة ليست طويلة قررت الخادمة أن تتحدث مع سيدها:

«هل أنت منزعج من غضب والدك؟»

«نعم نعم، كث كثيراً.»

ثم شدّ قبضته على يد الخادمة.

تغيّرت ملامح الخادمة، وبدا الألم على وجهها، ولكنها تحمّلت ما يمكنها، وقالت: «عائلتك تحبك كثيراً؛ ولكن لماذا أنت لا تحبهم؟»

«الشر والخير خطّان متوازيان لا يلتقيان» نظر إلى وجه خادمته، ثم أكمل حديثه:

«هذا ما قرأته في الكتاب اليوم.»

لم تفهم الخادمة ما يعنيه حديثه؛ ولكنها أجابته:

«لماذا تحب أنتَ «البان الكيك» الذي أعدّه لك، ووالدتك لا تحبه؟»

«ليس كل شيء أحبه قد يكون جيداً، يا سدني.»

ابتسمت الخادمة «سدني» بعد أن ذكر اسمها:

«اسمي على لسانك جميل. هل تعلم أنني أعمل في منزلكم منذ عشر سنوات، ولم ينادِني أحد من أفراد عائلتك باسمي وأشكُّ أنهم يعرفونه أصلاً؟!»

خفّفَ من حدّة قبضته، وتحدث بكلمات متكاملة:

«المعرفة الطيبة تكفي، وتُغني عن معرفة الناس جميعاً. أنتِ صديقتي المفضّلة.»

فجأة، سمعا صوتاً عالياً أتى من خلفهما، وكان رجلاً قصيراً ويلبس ملابس بيضاء للخدم وأتى إلى سدني وقال لها بسرعة:

«يجب أن تعودا، حدث شجار قوي بين الأب وابنه.»

نظرت «سدني» إلى عبد الله وأخبرته أن يبقى هنا ولا يتحرك من مكانه، ثمّ ذهبت راكضةً مع الرجل القصير إلى الخيمة، وصرخات الأب وابنه حمد منتشرة في أرجاء المكان، جلسَ عبد الله على الأرض وبدأ يلعب بالرمال ويفكر، ولم يشعر بطول الوقت الذي انقضى، وتعب من جلوسه وقرّر المشي مبتعداً عن الخيمة، فكان فرحاً جدّاً في الخلاء الذي يشعره بالأمان والحرية التي حرم منها، لا خروج من المنزل، لا لقاء مع الأصدقاء، لا مدارسَ تُعطيه حقه في التعلّم، الجميع يتنمّرون عليه؛ قد اكتفت والدته بأن تجعله حبيسَ منزله مع بعض المدرسين الخصوصيين، وقد تذكر موقفاً حدث له مع أحد المدرسين....

في غرفته الخاصة؛ إذ دخل إلى المنزل رجل أعزب يبلغ من العمر أربعةً وعشرين عاماً تقريباً، ويحمل شهادة اختصاصٍ في تعليم الطلاب الذين يعانون من صعوبات التعلّم وضعف التحصيل الدراسيّ، وضع حقيبته على الأرض وخلع معطفه وأمسكه بيده

ثم تقدم نحو عبد الله الذي كان شارداً بخياله، وقال له بصوت متزن:

«عبد الله، أين يمكنني وضع معطفي؟»

لم يلتفت إليه واكتفى بضرب الأريكة بكف يده عدة مرات، ففهم ما يقصده ووضع المعطف على الأريكة بشكل مرتب، ثم وقف أمامه وبدأ يشرح له، وقد كان عبد الله يتعمق بخياله مركّزاً على حديث مدرسه الجديد، وفي منتصف الشرح دخلت جود الغرفة دون أن تطرق الباب، وكانت ترتدي ملابس قصيرة، التفت المدرس ناظراً إليها بإعجاب وصمت فترةً، وقد وقفت جود لا تعلم ما تفعله؛

فهي ممسكة بصحن صغير، فيه بعض «الكوكيز» الذي صنعته بنفسها وأرادت أن تعطي شقيقها الطعامَ، سقط الصحن على الأرض متكسّراً وانتشرت شظاياه التي أصاب بعضها رجل جود، لكنّها لم تشعر بالألم في البداية، وبعد عدة ثوانٍ قالت بتوتّر: «أهلاً»

لم يستطع أن يبعد نظره عنها أو أن يجيبها؛ فهو يعيش هذه اللحظات في عالم آخر قد يسميه البعض عالم الغباء، وقد يسمّيه آخرون عالم العشق من أول نظرة، وبعد ثوانٍ استوعب أنها تحدثت

وقال لها:

«أهلاً، أنا المدرس خالد الطرفقي مدرس خصوصي للمرضى، ولديّ شهادة اختصاص.»

وضعت جود كف يدها عند فمها وحاولت كتم ضحكتها، ولكنها لم تقدر، فوضعت يدها عند بطنها، وانحنت لتكمل ضحكها المستمر، وبعد دقيقة مسحت الدموع عن عينيها، ثم تحدثت:

«أنا لا أهتمّ كليّاً لشهاداتك هذه، إنها سخيفة بحقّ.»

نظر خالد إلى الأرض، فوجد الدم ينزف من رجلها، وقال وهو يشير إلى رجلها:

«يا إلهي، إنكِ تنزفين!»

نظرت جود إلى الأرض ووجدت الدماء حول رجليها، فظنّت أوّلَ وَهلْةٍ أنها دورتها الشهرية قد أتت بهذا الوقت، تحركت إلى الخلف قليلاً وشعرت بالألم عند رجلها وصرخت بقوة....

بدأ خالد بالبحث عن منشفة، وعبد الله ما زال متعمّقاً بعالمه ولم يهتم لهما البتّة، وجد خالد منشفة بيضاء قرب سرير عبد الله، فأمسك بها، ثم اتجه نحو جود ووضع المنشفة على رِجلها عند جرحها

وضغط عليه؛ ممّا سبّبَ دخول شظايا الصحن أكثر في جلدها، فصرخت جود مرة أخرى.

«لا تقلقي؛ فكل شيء بخير.»

«عن أيّ خير تتحدّث يا أيها الأحمق؟! ابتعد عني قبل أن يراك حمد!»

ولكن المفاجأة التي حدثت مع الأسف أنّ البابَ قد فُتح بقوة، فاصطدم بظهر جود، فوقعت أرضاً على خالد؛ ليكونا في وضعيّة حرِجَة جدّاً دون قَصدٍ، دخل حمد ليرى شقيقته فوق رجل غريب، وعبد الله ينظر إلى الشاشة غير مهتم لهما، لم يحاول حمد أن يفهم ما حدث، فما كان منه إلّا أن أبعد جود عن خالد وأمسكه، ثم رفعه وضربه بالجدار بقوة، ثم مد يده بعيداً وقبضها بقوة وضربه على وجهه عدة ضربات، أمّا جود فقد نهضت من مكانها وهربت مسرعةً إلى غرفتها. ترك حمد خالداً الذي غطّت الدماء وجهه بسبب الضربات التي تلقّاها من حمد، فسقط على الأرض، وصرخ حمد بقوة:

«يا بن اللعينة، ماذا كنت تفعل مع شقيقتي؟!!!»

لم ينطق خالد شيئاً، ولكن عبد الله وضع كلتا يديه عند أذنيه

وبدأ يهز جسده خوفاً ورعباً؛ غيرَ أنّ حمداً لم يهتم لأفعال شقيقه التي يراها أفعالاً غبية، وأمسك شعر خالد وبدأ يسحبه خارج غرفة عبد الله، وعند مروره بجانب الدماء، أصبحت جميع المفارش مضرّجةً بدماء جود وخالد، أنزله إلى الدور السفلي بالقوة، وجعله يسقط ويتقلّب بشدّة.

تزامنَ ذلك مع خروج والدته من المطبخ، فرأت حمداً ممسكاً بشعر خالد، ويجره إلى الخارج، فأمسكت بيد حمد وأبعدته عن خالد وصرخت به:

«ماذا تفعل أيّها الأحمق؟! هذا مدرس خصوصيّ لشقيقك!»

دفع والدته بعيداً عنه، وقال بصوت عالٍ:

«اللعنة! لا أهتم لذلك!»

كان عبد الله يرى كل هذا، وهو خلف شقيقه حمد ويضع كلتا يديه على أذنيه...

توقّف عبد الله بعد أن شعر بقوة الشمس الساطعة فوق رأسه، وقد غدت الرمال أكثر حرارةً، قرّر أن يجلس ليرتاح بعد أن مشى مدة ساعتين إلى الأمام، جلس على الأرض، وشفتاه قد

جفّتا قليلاً، وبدأ يلعب بالرمال مثل الأطفال، فحفر حفرة ودفن رجليه فيها، وبعد عشر دقائق من الجلوس، بدأ يسمع صوت شيء يزحف بجانبه، في البداية لم يهتم كثيراً ولكن الصوت أصبح أقوى من قبل، كان صوتَ فحيحٍ واضحاً جعله في قلقٍ وارتياب، فنهض من مكانه ونفض الغبارَ عن يديه، ولكنه بحركة لم يتوقعها شعر بلدغة عند يده، وعندما التفتَ رأى ثعباناً ضخماً واقفًا يصدرُ فحيحاً قويّاً.

وضع عبد الله يده عند مكان اللدغة، وبدأ يركض أقصى اليمين، والثعبانُ يزحف خلفه مسرعاً ويمسح أثره، لم يشعر عبد الله بنفسه وهو يركض، ولا يعلم كم قضى من الوقت. اجتاحه الرعب الذي ملأ قلبه، وانتفضت كل خليّة من جسده، لم يكن يخاف من الثعابين أو العقارب أو أي كائن يزحف؛ لأنه لم يرَها حقيقةً قطّ...

اجتاحه شعور بالدوران، وبدأت دقات قلبه تتباطأ، ولم يعلم إلى أين سيقوده القدر، التفتَ أول مرة إلى الخلف منذ أن ركض، فلم يجد الثعبان خلفه، فأبطأ جريَه ورأى بحيرة متوسطة الحجم على مسافة غير بعيدةٍ، فشعر بسرورٍ غامرٍ في نفسه، كان رأسه يهتزّ،

وشفتاه قد جفّتا، وحلقه قد نشف كليًّا؛ فكل ما يريده رشفة بسيطة من الماء تردّ إليه الحياة، وبعد دقائق قليلة، وصل إلى البحيرة وسقط بجانبها ومد يده؛ لكي يأخذ رشفة ماء بسيطة، ولكنه لم يستطعْ وفقد الوعي...

# الفصل الثالث

## (١)

بدا وجهه شاحباً جدّاً، فأدركتْ أنّ هناك خطباً ما، بدأت تبحث في أنحاء جسده عن شيء، وبالفعل وجدت عند يده لدغة ثعبان، نهضت خلود بسرعة، وهي تقول:

«أرجو ألّا يكونَ السمُّ قد انتشرَ كثيراً.»

أمسكت بمنشفة حمراء وعادت بها إلى جانب جسد عبد الله، ثم ربطتها بجانب اللدغة وانحنت ثم قرّبت وجهها إلى مكان اللدغة ووضعت فمها، وبدأت تسحب الدماء والسمّ، التفتت برأسها، ثم بصقت ما جمعته من الدماء والسم، ثم أعادت العملية مرة أخرى حتى شعرت بأنّ السم قد زالَ تماماً، وعقب هذه العمليّة نهضت وذهبت إلى المطبخ وبدأت تغسل لسانها وتنظّفه بأصبع يدها.

عادت إلى الخيمة ولم ترَ الجثة أو الشخص، ارتعبت كثيراً؛ فقد كان قبل قليل في مكانه نائماً أو ميتاً، بدأت تنظر حول الخيمة حتى وجدته على الأرض يهز رأسه ويرتجف خوفاً، كانت خلود تشعر بشيء ما نحوه، شيء غريب ربّما هو انجذاب إليه، اقتربت منه ونظرت إلى وجهه، فرأته شابّاً عاديّاً لا أكثر، جلست بجانبه

تريد أن تمسك يديه وتثبتهما؛ لكي يتوقف عن الرجفان؛ غيرَ أنّ من المستحيل أن تفعل ذلك، ووالدها ليس هنا؛ فقد يأتي بأي لحظة، وإذا رآها بتلك الوضعية فقد يقتلها دون سؤال، نظرت إلى خارج الخيمة ولم ترَ سيارة والدها، تنفست الصعداء ومدت يديها وثبّتتهما، وبدأت ترى بعض الدماء تخرج من فمه ربّما لأنه عضّ لسانه.

يجب عليها أن تفعل شيئاً ما بسرعة، بدأت تبحث عن خشبة أو شيء تضعه في فمه ولكنها لم تجد شيئاً مناسباً، ففتحت فمه ووضعت يدها، وقد عضها بقوة دون شعور منه ولكنها تحمّلت، وبدأ عبد الله يسترجع التحكم بجسده، ونظر إلى وجه خلود التي أبعدت يدها بسرعة، وقال لها:

«من من أنتِ أنتِ؟»

أجابته خلود: «أنا خلود، وأنا أنقذتك من لدغة ثعبان، وأتيت بك إلى خيمتنا، وقد يأتي والدي في أيّ لحظة، لذا يجب أن تبتعد الآنَ من هنا!»

بدأ يهز رأسه، وكأنه لا يستطيع التحكم بأعصابه:

«أنا عبد الله بن رائد المجاج، وأنا قد تهت عن خيمة عائلتي.»

نهض عبد الله من مكانه وتحرّك ليخرج من الخيمة؛ ولكنه توقف

بحركة مفاجئة وأمسك رأسه بقوة وصرخ: «توقّف توقّف! يا أيّها الألم» ثم عاد إلى طبيعته، ونظر إلى خلود قائلاً:

«أنا آسف لما جرى.»

خرج من الخيمة، والدوار مسيطرٌ عليه، ثم أراد أن يبتعد ولكنه فجأة تذكّر أمر الثعبان الذي خرج له وعضّه، فشعر بالرعب الشديد وخشيَ أن يتكرر الأمر معه، فوضع كلتا يديه على أذنيه، وبدأ يصرخ بقوة وسقط على ركبتيه بخوف، وخلود تنظر إليه بارتباك، لم يتوقف عن الصراخ وقال بصوت عالٍ: «لا أريد أن أفقد عائلتي.»

جلست بجانبه، وقالت له بحُنوّ ورقّةٍ: «أعلم أنّ مجرّدَ فكرة عدم رؤية عائلتك مرة أخرى مخيفة للغاية.»

لم يتوقف عن الصراخ، فتابعت حديثها: «أنا مثلك، أخاف كل يوم أنْ أنهضَ ولا أرى أحداً بجانبي.»

بدأ يهدأ قليلاً، فقالت له: «قد تضيع حياتك من فقدان عائلتك، ولكنك لن تفقد حياتك.»

تنهد بضيق قائلاً: «كل ما أريده هو أن أعيش كما كنتُ من قبل، عندما كنت بكامل صحتي، الآنَ أصبحتُ لا أعرف من أكون، وليس لديّ شيء أعيش من أجله يوماً آخرَ.»

نهض من مكانه، ونظر إلى عينيها: «لا أعلم، لا أعلم هل أنا بخير؟»

ابتسمت له، وأجابته:

«أنتَ في أقوى حالاتك، الحياة ستُعيد إليك ما كنتَ تتمناه في هذه الدنيا، ولكن يجب عليك أن تتجاوز عثرات القدر.»

أراد أن يردّ عليها ولكنه شعر بالدوران، تلفّتَ حوله ليبحث عن شيء ما يتثبّتُ به ولكنّ كلّ ما حوله رمال، أعاد النظر إلى خلود التي رأت نظراته غير المركّزة،

ثمّ سقط على الأرض مغشيّاً عليه مرة أخرى.

قالت، وهي واقفة برعب: «يا ألله، ساعدني!»

ركضت نحوه وأمسكت بيده، ثمّ سحبته إلى داخل الخيمة ووضعته في فراش والدها، وبدأ بعدها يشخر بقوة وكأنه لم يحظَ بنوم عميق مثل هذا قطّ....

## ( ٢ )

خرجت خلود لتطمئنّ أنّ والدها لم يحضر، وتمنت ألّا يحضر في الوقت الحاليّ، اتّجهت إلى المطبخ، والهواء يتلاعب بها، دخلت ثم أغلقت الباب؛ لكي تحمي نفسها من غدر الضباع، وبدأت بإعداد حساء ساخن لكي تمدّ عبد الله ببعض القوة، ثمّ عجنت الدقيق وبدأت بخبزه، والرائحة الطيّبةُ تنتشر في الخارج، وبعدها جلبت وعاء وسكبت الحساء فيه ثم وضعت فوقه الخبز، وفتحت الباب ثم خرجت إلى الخيمة، رأت الكلب يقف أمام الخيمة يحميها كما طلبت منه، فدخلت ووضعت الوعاء بجانب عبد الله، وبدأت تهزّ جسده لكي تنهضه؛ ولكنه كان مستغرقاً في نومٍ عميقٍ، غيرَ مدركٍ أمرها، وقررت أن تطعِمه بنفسها، فشمّرت عن ساعديها وبدأت تقطع من الخبز وتغمسه في الحساء وتضعه في فم عبد الله الذي استقبله، وبدأ يمضغه.

ابتسمت خلود فرحاً بتحسُّن حالته، ودون سابق إنذار فتح عينيه بخفة، ثم بدأ ينظر إليها، وبلع الطعام ونهض وكان الألم واضحاً عليه، مدت يدها إلى الحساء وقالت:

«يجب أن تأكل.»

وفي منتصف الليل، خرج ينظر إلى الصحراء مستشعراً الخطر الذي يحوم حوله، وكأنّ الشياطين يراقبونه ويتربّصون به، ولكن ذلك الشعور يزول تماماً كلّما اقترب من خلود، نظر إلى القمر الذي تحوّل فجأة إلى عين حمراء تنظر إليه، نهض فزِعاً من نومه، وجسده متعرق، وقد شعر بأعضائه تتقطع من الألم، كان الليل في منتصفه، نهض وخرج وجسده يؤلمه بشدة، وتقيّأ كلّ ما أكله، خرجت خلود خلفه خائفةً، وقد بَدَتْ عليه علامات التعب والإرهاق، مسحت على ظهره وتجرأت بعد أن نظرت حول المكان، فوضعت يدها على رأسه لتشعر بتلك الحرارة التي أصابته.

أمسكته وأخذته إلى سرير والدها، وقالت له بخوف:

«يجب ألّا تتحرّك؛ فالحرارة شديدة. سأذهب إلى المطبخ، لدينا دواءٌ خافضٌ للحرارة، كانت والدتي تستخدمه، أرجو أن تنتفع به.»

ذهبت إلى المطبخ بسرعة، فتعثّرت وسقطت ولكنها لم تُصَبْ بأذىً، فأكملت ركضها، وفتحت باب المطبخ لتدخل بسرعة وتبحث عن جرة تحفظ البرودة.

المطبخ لم يكنْ نظيفاً مرتّباً كما كان أثناء وجود والدتها، حتى إنها لم

تغسل الوعاء، وبعد بحث وتوتُّرٍ وجدته، ففتحت الجرة، وأخذت منديلاً وضعت فيه حبّة الدواء، ثم عادت إلى الخيمة ونسيت أن تغلق الباب خلفها.

وقفت بجانبه، وأخذت جرة الماء وسكبت له قليلاً منها ورفعت رأسه، ثم أخرجت الحبة ووضعتها في فمه، وأخذت كوب الماء وسقته قائلةً:

«ابلع الماء.»

بلعه وهو مغمض العينين، ودون أن تشعر لمست يده فوجدتها باردة جدًّا، فقالت برعب:

«يا إلهي، سهّل أمري مع هذا الشابّ وارحمه؛ فأنت حامي الضعفاء والمحتاجين.»

وضعت رأسه على الأرض بخفة، ثم ذهبت وأخذت غطاءً ولحّفته به،

وتذكّرتْ أنّ والدها أصيبَ بنزلة برد ذاتَ يومٍ، وقد رأت والدتها تتلحّف معه وتحضنه، وعندما سألت خلود والدتها عن فعلتها قالت:

«عندما أكون بجانب والدك أشعر بالدفء، وعندما أحضنه أعطيه الدفء الذي في داخلي؛ فتخف حِدّةُ نزلة البرد.»

استوعبت خلود ما تذكرته، وقالت في نفسها:

«مستحيل أن أفعلها رغم أنني أشعر بالدفء معه، ولكنني لن أحضنه!»

جلبت له صوف خروف ووضعته فوقه،

وحاولت جعل رأسه في الخارج؛ لكي يتنفس ولا يختنق...

بعد يومين من الاهتمام الشديد، بدأت حالته تتحسّن، وكانت خلود تمسكه لكي تساعده على المشي قليلاً، وأصبح هاجسها الوحيد هو معرفة مكان والدها ووالدتها، وأين ذهبا، فقد غابا عدّة أيام، ولم يأتيا، ولم تعتد فراقهما أبداً، وغدت تنزعج من بعض تصرفات عبد الله منذ أن تحسنت حالته، وعلم أنها لا تنام كثيرًا، وإنْ نامت فهي تنام في المطبخ، فأصبح عبد الله ينام عند الخراف، واعتاد النوم بجانبهم، وفهم الجدول الزمنيّ المحدّد لخلود في التوقيت بإخراجهم للسقي، ثم العودة بهم إلى حظيرتهم الخاصة، ثم الذهاب إلى الكلب واللعب معه ومداعبته...

مرت أيام قليلة، واعتاد عبد الله حياته الجديدة، واعتادت خلود وجوده، وشعرت بالراحة معه؛ ولكن ليس كل ما نريده سيحدث لأنّ القدر ينتظر وقته المناسب ليفعل مهمته!

## ( ٣ )

صوت عالٍ يأتي من السماء، رفعت خلود رأسها فرأت طائرة مروحيّة «هليكوبتر» تحلق فوقها، نظرت إلى الأسفل ولم ترَ الخراف، بدأت تبحث عنهم بلهفة ولكنهم هربوا خوفًا، أمّا عبد الله فكان واقفاً، والكلب بجانبه في حيرة ودهشة من هذه الطائرة، وأمّا المفاجأة المرعبة الأخرى فقد كانت محاصرةَ سيارات الشرطة البحيرة بسرعة؛ إذ ظهرت سيارة جيب سوداء، نزل منها رجل كبير السنّ يرتدي ملابس رسمية، لم يتحرك بل اكتفى بالنظر إلى خلود ثمّ بالنظر إلى عبد الله، وما أنِ التقت أعينهما معاً حتى ركض عبد الله إلى الرجل واحتضنه حضناً حارّاً:

«ولدي!!!»

لم يصدّق والده أنه وجده، أبعده عنه وأمسك رأسه بكلتا يديه، وبدأ ينظر إليه وقبّل رأسه قائلاً: «هل أنت بخير؟»

ابتسم عبد الله، وبدأ رأسه يهتز..

كانت خلود تنظر إلى عبد الله، وهي تمسح دموعها، تقدّم أحد رجال الأمن نحوها وأمسكها، ثم كبّل يديها، وهي مصدومة مما

يجري، حاولت المقاومة، ولكن رجل الأمن قال لها محذراً:

«لا تقاومي؛ لكيلا تسجّل بحقّك قضية مقاومة رجال الأمن!»

توقفت خلود وجعلته يكبّلها، ثم أخذها إلى سيارة الشرطة، وهي تنظر إلى عبد الله الذي كان رأسه يهتزّ بشكل غريب، التفتَ عبد الله، فالتقتْ أعينهما، فما كان منه إلّا أن انتفض انتفاضاً غريباً شديداً، وأبعد والده عنه، ثم أخذ يركض نحو الشرطي، وما أنْ وصل إليه حتى دفعه ليسقطا معاً على الأرض، فنهض من مكانه محاولاً ضربَ الشرطي، ولكن ردة فعل الشرطي كانت أسرع من محاولة عبد الله، فحرّك رجليه بسرعة وأسقطه على وجهه، ثم نهض بسرعة وأمسك بيد عبد الله وحاول كسرها، ولكنه توقّف بسبب صراخ الأب الذي ركض بسرعة وضرب رأس الشرطي، فسقط مغشيّاً عليه، وتقدّم رجال الشرطة الآخرون وأبعدوا الأبَ قائلين:

«سيدي، توقّف.»

دفع الأبُ الرجل الذي وضع يده عند صدره محاولاً تهدئته، فسقط على الأرض، وركض نحو ابنه الذي كان ينظر في دهشةٍ وإعجابٍ إلى وجه خلود، وقد سقط النقابُ عنه، قائلاً:

«أأنتِ بخير؟»

قالها عبد الله بخجل شديد، ولم يغضّ نظره عن وجه خلود التي لم تعرف ماذا تفعل، نظرت إلى الأسفل فرأت نقابها، حاولت أن تأخذه ولكنها لم تتمكّن من ذلك بسبب الأصفاد، وصل والد عبد الله إليه واحتضنه، ولكنه لم يكن مهتمّاً بأمر والده، فأبعده وقال له، وهو يشير إلى يدي خلود المكبّلتين:

«أزلها أزلها عنها.»

وعندما رأى الأب يدي خلود، صرخ مخاطباً الشرطة:

«أزيلوا عنها الأصفاد، يا أيّها ...!»

وبينما هم يزيلون عنها الأصفاد، اقترب أحد رجال الأمن من خلفها، فغرز في رقبتها إبرة لتسقط بعدها على الأرض، والتف عبد الله وكان يريد أن يذهب لها ويحملها عن الأرض، ولكن والده أوقفه وقال:

«لا تقلق، ربّما تعبت قليلاً، ستهتم بها الشرطة.»

# الفصل الرابع

أعرف أن العالم جنونيّ، أعرف أن الحب لا يسير
دومًا بالطريقة التي يجب عليه أن يسلكها،
وأعرف أن الأشياء تؤلم أحيانًا؛ ولكني أعرف أيضًا
أننا سنتخطى هذا بأن قلبينا سيعبران إلى الضفة
الأخرى متماسكين، وبأن كل شيء جميل، إن نحن
أعطيناه فرصةً ليكون كذلك.

# الحقيقة!

شرطي واقف في أروقة المستشفى، وبجانبه عبد الله ووالده ينظران إلى الزجاج الذي كان خلفه غرفة خلود المغمى عليها:

«والداها تُوفّيا بحادث مروري، وجدّها قُتل قبل أسبوع؛ فهي الآن وحيدة، ولا أحدَ يعرف عنها شيئاً إلّا أنتما.»

«حسناً، ما العمل الآن؟»

«أريدها أن تأتي إلى منزلنا!»

قالها عبد الله، وهو مبتسم ويحضن يديه.

«ولكنها ليست مَحْرماً؛ لكي تدخلها إلى منزلنا، ونحن لا نعرفها، وهذا أمرٌ صعب جدّاً.»

«أريدها أن تأتي إلى منزلنا.»

كرّر العبارة، وظهر على وجهه التجهّم.

نظر الأب إلى الشرطي، وربّتَ على كتفه قائلاً:

«شكراً لك، يمكنك الذهاب.»

ابتسم الشرطي وذهبَ.

استدار والده إليه وقال له، وهو يمسك كلا كتفيه:

«لا يمكننا. هل تفهم؟! لا يمكننا.»

أبعد عبد الله يد والده غاضباً جداً، وقال له دون وعيٍ:

«إذاً، أريد أن أتزوّجها!»

لم يستطع والده أن يكتم ضحكته، فأخذ يضحك، وبعد ثوانٍ قليلة توقف، وقال بغضب:

«هل تعتقد أنّي سأسمح لك أن تتزوّج بهذه البدويّة؟!!»

أشار إليه بإصبعه بصرامة، وأكمل: «إنهم لا يفقهون شيئاً سوى رعي الماشية. هل تعتقد أنّها ستعجب بحياتنا وتتكيّف معها؟! ستصبح نقمة علينا بلا ريب!!»

لم يتحمل عبد الله الكلام الذي قاله والده بشأن خلود، فسقط على الأرض ووضع يديه على رأسه، ثم راح يهز رأسه بقوة ويصرخ:

«أنا أريدها، أنا أريدها!! من أنت لكي تمنعني؟!»

لم يتحمل والده هذه الضجة، فرفعه من الأرض، وأمسك عنقه وعلّقه عند الزجاج الذي يطل على غرفة خلود، وصرخ بوجهه:

«يا أيّها اللعين، أنا والدك!!»

أشاح عبد الله بوجهه، ووضع يديه على أذنيه، وأكمل والده غاضباً:

«ألا تفهم ما يجري الآن؟! هل تريد أن تضع بدوية لعينة في منزلنا؟!»

أتت صرخة أنثويّةٌ من مسافة بعيدة:

«اتركه!»

ثم أخذت تركض نحو ابنها الذي كان معلّقًا من عنقه، وما أنْ وصلت إلى زوجها حتى دفعته بقوة، ولكنه استطاع أن يحافظ على توازنه ولم يسقط، ولكن من الناحية الأخرى سقط عبد الله على الأرض، جلست والدته بجانبه، وبدأت تحتضنه وتقبّل رأسه وتشتم زوجها:

«أيّها الأحمق، كيف يمكنك أن تؤذيَ ابني هكذا؟! لقد كنت أبحث عنه مدّة طويلة، وماذا تفعل له؟ تخنقه هكذا! أسأل ربي أن يأخذك بفعلتك هذه!»

ابتسم زوجها، وقال بصوت غير مسموع:

«نعم، أرجو أن يأخذني؛ لأكون حرّاً منك أيّتها الحقيرة!» ثم أشار إلى ابنه وقال: «اسمعي ما كان يقوله ابنك.»

التفتت إلى زوجها بفضول، ولكنها صرخت قائلة: «ماذا كان يقول؟!» ابتعد عنهما، وقال من بعيد:

«هو سيخبرك!»

ثم خرج من المستشفى، وخلفه الكثير من حرّاس الأمن، وظلّ بعضهم لحراسة زوجته وابنها.

قالت، وهي تنظر إليه، ودموعها تسقط من عينيها:

«ماذا تريد يا قرّة عيني؟ أخبرني، واعتبر طلبك مُجاباً ومنفّذاً.»

في البداية، لم يسمع عبد الله كلام والدته، ولكنها كررته مرة أخرى وسمعه بوضوح، فأبعد يديه عن أذنيه وقال لها، وهو يلتقط أنفاسه:

«أريد أن أتزوّج بخلود.»

اتّسعت عينا والدته دهشةً، واحتضنته بقوة وقالت له:

«لا أعلم من هي خلود، ولكنني أثق بك يا قرّة عيني.»

نهض عبد الله من مكانه مبتسماً، وأشار إلى خلود التي كانت في حالة إغماء، لم تفهم والدته سبب إعجاب ابنها بهذه الفتاة؛ فهي بالتأكيد أكبر عمراً، أمعنت النظر بها، فرأت الجمال العربي الذي

افتقدته فتيات هذه الأيام:

«إنها جميلة ومكتملة!»

ثمّ وضعت يدها على رأس ابنها، وتابعت:

«جمالها غريب جدّاً! وأنا موافقة على أن تكون زوجتك.»

تحدث عبد الله بعفوية:

«ليس كلّ شيء جميل مكتملاً.»

«لكنّكَ مكتملٌ بعيني، وليس من الضروريِّ أن يرى أو يقدِّرَ الجميعُ درجة اكتمالك. فقط شخص واحد إنْ عرفك فسيعرف اكتمالك.»

«لهذا هي غير مكتملة؛ فهي لا تعرفني.»

أبعدت يدها عن رأسه، وجذبته إلى صدرها قائلةً بحنان:

«إذاً، اجعلها تعرفك. ليس كلُّ شيء صعباً، فقط فكّر في الأمر جيّداً وسيحدث.»

# الفصل الخامس

# المستشفى

فراش مريح، ولحاف ناعم، وهواء بارد، وصوت رجل يروي حادثة، فتحت خلود عينيها، وأخذت تقلّب نظرها في أرجاء المكان، فكان كل شيء منظماً بشكل غريب، وورود كبيرة جميلة على طاولة متوسطة الحجم، التفتت نحو مصدر الصوت، فرأت الشاشة التي طالما تحدث عنها والدها محذّراً من أنّها ستجعل العالم خراباً، وتطلق الفساد بين العامة، وضعت كف يدها فوق السرير، ثم نهضت وأسندت ظهرها، تثاءبت ووضعت كف يدها على فمها ورأت شيئاً مغروزاً قرب وريد يدها، فارتعبت بشدة وسحبته بيدها الأخرى ولم تشعر بالألم، ولكن صوتاً عالياً خرج، نهضت على رجليها ولم تمضِ ثوانٍ معدودة حتى فُتح الباب بقوة ودخلت امرأتان، لم تفهم خلود سبب فزعهما، ودخولهما بقوة إلى الغرفة التي كانت فيها، ولم تعرف لماذا هي في هذه الغرفة، فسألتهما:

«أأ... من أنتما؟... وأين أنا؟»

«سيدتي، يمكنك الجلوس هنا.»

تقدمت إحداهما، وكانت جميلة وتضع بعض مساحيق التجميل

على وجهها، أشارت إليها بالجلوس وأمسكت كتفها بهدوء مربك وأجلستها قائلةً:

«أنتِ الآن في المستشفى الخاصّ.»

نظرت إلى صديقتها وتابعت:

«نحن ممرضتان لدى العائلة التي أنقذتِ ابنها.»

تغيرت ملامح خلود ومدت يدها لتحكّ رأسها، وهي تحاول أن تتذكر ما جرى لها، ولكن المرأة الجميلة قاطعتها وقالت:

«يمكنك أن ترتاحي وتأخذي وقتاً كافياً لمحاولة تذكّر الأحداث التي جرت.»

ابتعدت الممرّضتان عنها بمسافة ليست بعيدة، ونظرات خلود لم تفارقهما، وقالت الممرّضة الجميلة لزميلتها بصوتٍ هامسٍ:

«اذهبي واجلبي لها العشاء، واتصلي بالعائلة.»

خرجت الطبيبة بحركة سريعة وتركتهما وحدهما، فتحركت الممرّضة الجميلة نحوها وأمسكت بكتفها بخفة وأجلستها على السرير، ثم ذهبت إلى الثلاجة الصغيرة وفتحتها لتخرج علبة ماء صغيرة، وعادت إلى جانب خلود وقدّمت لها الماء:

«اشربي الماء؛ تحتاجين هذه الفترة إلى الكثير من السوائل.»

أمسكت بالعلبة، ثم حاولت فتحها ولكنها لم تقدر على فتحها بسبب ضعفها، فمدت الممرّضة يدها وفتحت العلبة بسرعة، فسقطت بعض قطرات الماء عند رجليها، أخذت خلود تشرب الماء برغبة شديدة؛ إذ كانت معتادة طول إقامتها في المستشفى على المحلول الطبي، وبعد أن انتهت من شرب الماء مسحت فمها بكف يدها، ثم وضعت العلبة عند الطاولة ونظرت إلى الممرضة وقالت:

«شكراً لكِ.»

ثم ابتسمت وسألت:

«ماذا جرى لي؟! أنا أتذكر آخر حَدَثٍ، وهو محاصرة الشرطة لي، ثم حدثَ أمرٌ ما أنساني كل شيء.»

«الآن لا تدعي شيئاً يسيطر على تفكيرك، ولتعلمي أنك بخير وتحظين بالعناية المثلى التي لن تريها في مستشفيات الأحساء جميعها.»

«لكنني لم أدخل المستشفى قطّ، ولم أفهم لماذا هو هكذا!»

صمتت قليلاً بتفكّر ثمّ قالت: «هل يحظى الجميع بهذه العناية؟»

رفعت الممرضة كتفها وأجابتها:

«ليس الجميع من الأغنياء، فهذا المستشفى خاص بالأغنياء.»

أثار جواب الممرضة استغرابها؛ فهي لم تكن غنية ولا والدها أو جدها، وهي لا تعرف إلّا القليل من الأشياء، فقد كانت محرومة من المدن الكبيرة:

«أنا لا أفهم... هل أنا ميتة؟»

ابتسمت الممرضة الجميلة، ثم أجابتها:

«أنتِ حيّة أكثر مني، لديك طاقة كبيرةٌ وجمال غريب.»

«أأ.. أنا جميلة؟! لم يخبرني أحد قطّ أنني جميلة.»

«نعم، من شدّة جمالك ستتز...»

لم تتمكّن الممرضة من أن تكمل جملتها حتى دخلت امرأة كبيرة السن، ذات ملامح جميلة، وخلفها شاب، توقفت المرأة بجانب الممرّضة وطلبت إليها الخروج، فخرجت بسرعة خاضعة لطلب المرأة، نظرت خلود إليها، ثم نظرت إلى الشاب الذي كان معها؛ إنّه عبد الله، ابتسم لها وبادلته الابتسامة بعفوية:

«أهلاً بك، ابنتي الجديدة خلود.»

تحدثت المرأة لتجذب نظر خلود إليها، وبدأت بالتقدم نحوها،

وأكملت كلامها:

«أنا والدة عبد الله، وبإذن الله ستكونين بكامل عافيتك قريباً، لهذا أريد أن أطلب منك طلباً، وأرجو أن تستجيبي له بالرضا والقبول.»

لم تفهم خلود ما يحدث هنا، ولكنها أجابتها بسرعة:

«قبل أن تخبريني، طلبك منفّذٌ ومقبولٌ يا سيدتي؛ فأنا مَدينة لعبد الله بالكثير.»

ابتسمت والدة عبد الله، وقالت:

«لكنّك لا تعرفين ما أريده، فقد لا يعجبك طلبي.»

ابتسمت بلطف قائلةً:

«علمني والدي ألّا أرفض طلب أحد قدّم لي المساعدة، ولكنّ لكل شيء حدوداً، وأن أحاول تنفيذ هذا الطلب ولو بشكل آخر، المهمّ أن يُرضيَ الشخص الذي ساعدني.»

«أقدّر لك هذا الشيء، وأرجو ألّا يقتحم طلبي الحدود التي يفرضها القدر علينا»

التفتت والدة عبد الله إليه، وقالت:

«عبد الله طلب مني أمراً؛ وهو ردّ الدين الذي عليه.»

تغيرت ملامح خلود، وأجابتها:

«ولكن ليس بيننا أيّ دين!»

«الدين الذي عليه هو أنك حميتِه وأنقذتِه؛ فقد أخبرني بالقصة كلّها، وأعجبتني شجاعتك والتزامك بتقاليد عائلتك المحترمة، وقد أراد عبد الله استضافتك بالمنزل.»

تسارعت دقات قلبها، وقد شعرت بالخجل من هذا الطلب، فأجابتها:

«لكنني لا أستطيع القدوم إلى منزلكم. بالتأكيد، والدي قد عاد إلى خيمتنا، وقد يعتقد أنّ أمراً ما قد حدث لي!»

تغيرت ملامح الأم، وخفضت رأسها في حزن وخيبة:

«في هذا الأمر، قد تكون إجابةٌ غير مرضيّة...»

«سيّدتي، عمّ تتحدثين؟»

تدخل عبد الله في الحوار، وقال بسرعة:

«إنها تقول: عائلتك بخير، ولا تقصد إخافتك أبداً، وللعلم إنّ والديك يعلمان بأمر حضورك إلى منزلنا، وقد وافقا على ذلك.»

التفتت والدته نحوه مستغربةً، وقد شعرت بصدمة من تدخل عبد الله والكذب عليها؛ فهي لم تسمعه يكذب عليها قطّ.

وضعت خلود يدها عند صدرها، وقالت بتوتر:

«الحمد لله»

نظرت إليهما، ثم قالت:

«حسناً، أنا موافقة؛ ولكن بشرط ألّا تكلِّفوا أنفسكم شيئاً.»

ضحكت الأم وقالت: «لن نكلف أنفسنا، لا تقلقي. كل شيء سيكون لديك بطرفة عين؛ فأنتِ ملكة في منزلنا.»

# الفصل السادس

لقد أيقنتُ طوال حياتي أنّ القمر سيعود بعد
سطوع الشمس، وأن الخدعة ستنكشف يوماً ما،
ولن تنطلي على الكثير.

توقّع المستحيل؛

لأنه قد يحدث!

«هناك الكثير من الأوراق الناقصة في حادثة القتل التي يحقق فيها جابر.»

قالها رجل يلبس ثوباً رسميّاً، وغترة حمراء مخطّطة، وقد وقف بجانبه رئيس قسم الشرطة، فقال له بحِدّة:

«يجب أن تتعلم ألّا تتدخّل في تحقيق لا يخصّك. أيّها المحقّق إبراهيم، لا تتجاوزْ حدودك.»

تراجع المحقق قليلاً إلى الخلف، وقال بتهكّم:

«لنفترض أنّنا وضعنا حدوداً بعضنا لبعض، فهل سيتوقف القتل؟! هل سيعرف الجميع حدودهم؟!»

تنفس الصعداء، وأكمل: «المجرم تخطّى حدوده، وقتل امرأة عجوزاً مع زوجها!!!»

قالها، وهو يصرخ بوجهه بغضب، وأردف:

«لا توجد حدود في هذا العالم اللعين، يجب أن تفهم أنّنا إنْ وضعنا حدوداً فلن يتوقّف العالم عن الدوران، ولن يعرف الجميع حدودهم مهما كانت القوانين، وسواء أكانت معهم أم ضدهم؛ لأنّ فطرتنا البشرية لا تسمح بهذا الشيء!»

تنفّس رئيس قسم الشرطة الصعداء، والتفّ خلفه قائلاً بهدوء:

«لديك شهر واحد فقط لكشف ملابسات هذه الجريمة، وإنْ لم تتمكّن من ذلك فسيتم نقلك إلى منطقة أخرى نائيةٍ لن ترى بعدها عائلتك إلّا لِماماً.»

عاد المحقق إلى مكتبه، وكان الجميع ينظرون إليه برعب لشدّة جرأته في التحدّث بتلك الطريقة مع رئيس القسم، فتح الباب ودخل، ثم صفع الباب بقوة ليملأ الصدى مسامعَ رجال الشرطة في ذلك المكان كلّه.

جلس على الكرسي، وأمسك بهاتفه الصغير ودخل إلى سجل الاتصالات، ووجه إصبعه نحو اسم مساعده وضغط عليه، ثم اتّصل بمساعده، فأجابه بعد عدة ثوانٍ:

«محمد، أريدك في مكتبي حالاً، واجلب معك جميع ملفات عائلة «الجواد»، لدينا شهر واحد لنكشف هويّة المجرم الذي قتل تلك العائلة، وترك ابنتهم فقط!»

لم يدع فرصةً لمحمد لكي يجيبه وأغلق الهاتف مُنهياً الاتصال، وبعد ربع ساعة تقريباً طُرِق الباب، ثم فُتِحَ ليدخل رجل رشيق

الجسد، قويّ البنية، تظنّه لاعباً رياضيّاً محترفاً، ويبلغ من العمر نحو خمسة وعشرين عاماً، ثمّ أغلق الباب وابتسم قائلاً:

«لقد فعلتُها.»

ثم أخذ يضحك بخفة، ووضع الملفات التي بيده على طاولة المحقّق إبراهيم، وأردف قائلاً:

«لقد حصلت عليها.»

لم تُعجب عبارة محمد: «لقد حصلت عليها» المحقّقَ إبراهيم، فأجابه بثقة، وهو يحكّ ذقنه:

«لم أسعَ يوماً للحصول على ما يجب الحصول عليه، بل ما أريد أنا الحصول عليه. نعم، لقد مررت بالكثير من المواقف في حياتي، ولكنّها لم تكن أبداً كهفاً أعتكف فيه، بل جسراً أعبره إلى ضفّةٍ جديدةٍ، وإذا كنتَ قد رأيتني محطّماً وبائساً في لحظات ما، فذلك لا يعني أبداً أنّ البحر الذي في داخلي قد هدأ واستكان، أو أن الريح التي تعصف في داخلي قد صمتت، إن الحزن يا صديقي ليس نقيضاً للحياة بل هو جزء منها.»

«أرجوك، لا تكمل حديثك عن العالم والحياة والفلسفة التي تتطرق لها كل مرة.»

«لن تحصل على ما تريده يا محمد إلّا عندما تكون لديك فلسفة خاصة بك»

«أنا لن أهتمَّ، ولا يمكنك أن تقنعني بشيء لا أريده.»

ابتسم المحقق بوجه مساعده، ثم أمسك بالملفات وبدأ يتصفّحها...

***

خبايا الحياة كثيرة، وأصولها قليلة، ووجودها لا معنى له بقلوبنا، فقد نصدقها أو لا نصدقها، ولكن لن تكون الحقيقة خفيّة!

انتهى المحقق من قراءة الملف، ومن خلال القراءة الأولى لملف الجريمة لم يجد ما يريده، خرج محمد منذ نصف ساعة وعاد إلى منزله، نهض إبراهيم عن كرسيه، وهو يشعر بالألم في مؤخرته بسبب طول جلوسه، أمسك بالغترة الخاصة به ووضعها عند كتفه، وأمسك بالملفات وأخذها معه، ثمّ خرج من القسم بخُطاً سريعة ووصل إلى سيارته، ووضع جميع أغراضه بالخلف، شغّل المحرّك فخرج صوتٌ عالٍ ثم انخفض، بدأ يسمع صوت المذياع، وشعر أن حواسه قد انسحبت منه، فاستمع إلى البرنامج الإذاعيّ المُقدَّم:

«لنستمع للمتصل»

«السلام عليكم»

«أخبرنا بالحقيقة التي أخفيتها!»

«ليست كل حقيقة يجب أن تعرفها، بعض الأمور يجب أن نصمت عنها؛ لتسير أيامنا كما نريد.»

«وهل أتيت هنا لكي تخبرنا أنك لا تريد التحدث عن حقيقتك؟!»

بدأ الرجل يضحك، ثم قال: «على العكس، أنا أريد أن أخبرك بحقيقتي، ولكنّها لن تسرّ تلك السلطات التي كانت تبحث عني.»

«عمَّ تتحدث؟»

«يجب أن تعلم أن وجود القوة الخارقة حقيقة، ولكن الحكومة تحاول بكل جهدها إخفاءنا واستغلال قوتنا بالكثير من الأشياء، ولا يحاولون فقط إخفاء قوتنا بالكثير من الكينونات، بل يصطادونها بتلذذ بتعاون من الاستخبارات الأمريكية للماورائيات في الطبيعة.»

قاطعه قائلاً: «أنت تعرف بسبب حديثك هذا أنّ الاستخبارات ستحدد مكانك بدقّة؟!»

«أعرف ذلك، وأريد أن أبدأ لعبة معهم ونرى من سيفوز أولًا، الأبرياء الذين معي أم الاستخبارات التي تعذّب أشقّائي؟!»

توقف الخط، وقال المذيع: «يبدو أنه أغلق الخط، لنأخذ اتصالاً آخر.»

«أريد أن أعتذر قبل سرد قصتي؛ لأنها قد تكون طويلة.»

«تفّضل وقل الحقيقة التي أخفيتها.»

«سمعت كثيراً أن للشهرة ضريبةً لا يدفعها إلّا من دخلها بالخطأ، لن أسرد لكم كيف أصبحت مشهوراً، بل سأخبركم عن تلك اللعنة التي أصبت بها؛ فقصتي بسيطة، وقد تكون مرعبة، ولم أتمنَّ أن تحدث لي، وقد قرّرت المشاركة في البرنامج استجابةً لطلب صديقي.»

«أعتذر على المقاطعة، ولكنّني أريد أن ترسل تحياتي لصديقك الذي دلّك على الطريق المناسب، وسأدعك تكمل قصتك إلى أن تنتهي.»

«في ذات يوم، كنت أجيب على الرسائل التي تصلني على الخاص بكل رَحابة صدرٍ وسرور، ولم أضع حاجزاً بيني وبينهم؛ فأنا شخصٌ لا أعرف الغرور والتكبّر.

فجذبتني إحدى الرسائل التي فتحتها، ورأيت محتواها وقرأته بشغفٍ واستغراب:

السلام عليكم

أخي الكريم، لقد وجدت هذا المنشور ينشر لك صوراً مع زوجتك، فلم أصدق في البداية ما رأيته، ولكنّني قررت بسرعة إرساله إليك لتعرف ما يجري، وإنْ كان هذا حساب زوجتك الخاص، وأنت راضٍ ومتفّهمٌ لخروجها للعلن هكذا، فأنا أعتذر لتدخلي غير المقصود، وأتمنى لكما التوفيق والتوافق.

ضغطت على زرّ صورة الحساب فكانت خالية، فاعتقدت أنّه حظرني، وعندما بدأ تحميل الصورة خرجت رسالة تدل على أنني محظور من دخول هذا الحساب، عدت إلى الرسالة ووجدت المنشور الذي تحدث عنه، ضغطت عليه وصُعقت من الصورة؛ فلا أتذكّر أنني التقطتها أنا أو زوجتي، فقد كانت صورة سلفي غير عادية، ليس فيها ما يكفي من الملابس التي قد لبسناها، ولكنّ كل شيء كان مستوراً، بدأت بتصفّح المنشورات، وكانت الصدمة المرعبة وجودَ الكثير من الصور لنا التي لا نتذكر تصويرها.

متى؟! كيف؟! أنا لا أفهم ما جرى.

عشت لحظة رعب، تركت هاتفي، ويدي ترتجف من الفضيحة التي ستحدث، ذهبت إلى زوجتي التي كانت ممسكة بهاتفها وتتصفّح

أحد برامج التواصل، وعندما وصلتُ نظرتْ إليّ ثم عادت تنظر إلى الهاتف، فأمسكته بسرعة وأخذتُ أفتّشُ في الحسابات التي عملت لها تسجيل الدخول مسبقاً، وهي تكلّمني بغضب واستياء، لم أردّ عليها بأي كلمة، ورميت الهاتف بحجرها عندما انتهيت.

عدت إلى غرفتي وفتحت الهاتف، ثمّ رجعت إليها ورميت الهاتف، فبدأتْ تتصفّح المنشورات برعب قائلة:

- من من الذي نشرها؟!

- تسألينني أنا؟ أنا لا أعرف، وكل التهم موجّهةٌ إليكِ، كيف فكّرتِ في ارتكاب تلك الفعلة الشنيعة؟! هل تعرفين ما سيحدث لنا؟!!

- أقسم لك إنّني لم أنشرْها، ولا أعلم من نشرها، أو كيف وصلت إليه.

فتحت إحدى الصور، ورفعت الهاتف أمام وجهي، وسألتني: «هل تتذكر وقت التقاطنا تلك الصورة؟»

رفعت كتفي بتلقائية، وقلت لها: «لا أعلم. عقلي مشوش. كيف وصلت تلك الصور إليه؟ يجب أن نفعل شيئاً.»

نهضت زوجتي عن الأريكة، وقالت:

«لديّ شيء خبّأته عنك فترة.»

نظرت إليها نظرة ثاقبة، فقالت لي:

«لقد كنت واضعة كاميرا بداخل الغرفة؛ لأجل...»

لم أدعها تكمل، وقاطعتها: «لأجل ماذا أيّتها الحمقاء؟!»

« لأنني خائفة على الذهب الذي أمتلكه. أنت تعرف قيمته.»

قلت لها بغضب:

«هل أنتِ مجنونة؟! أين تلك الخصوصية التي يجب أن تكون بين الشريكين في العلاقة الزوجيّة؟! هل فكّرتِ أنه يومًا ما قد يخترق هكر الكاميرا ويرى كل ما يحدث، وقد يهددنا؟!!»

بدأت زوجتي تستوعب ما فعلته وتدرك خطأها، وكانت تريد أن تعتذر، ولكنني قاطعتها:

«يجب أن نرى آخر التسجيلات؛ لعلّنا نجد جواباً عمّا يحدث، هل نلتقط نحن فعلاً الصور لأنفسنا، وننشرها دون شعور أم يوجد شيء غريب يحدث؟!»

ذهبت زوجتي إلى الغرفة وذهبت خلفها، فأخرجت جهازها

المحمول وجلست على طرف السرير وفتحته، ثم دخلت إلى موقع شركة الكاميرا، ووضعت البريد الشخصي والرقم السري؛ لتدخل إلى آخر التسجيلات، وبدأنا نرى كل شيء بسرعة، فأول الساعات كنا خارجين لتصوير أحد الإعلانات المدفوعة، ثم عدنا ورأيت نفسي أرتمي على السرير، وزوجتي في الحمام، كان كل شيء طبيعيّاً، عادت زوجتي إلى السرير ونامت ثم نمت أنا، وبدأت تتقلّب بشكل مكثف، مدت زوجتي يدها إلى الشاشة، وهي ترجف قائلةً:

«هل ترى ذلك الشيء؟»

كانت تنظر إليّ، وأنا أنظر إلى الشاشة، وكان هناك شيء ما يتحرك وبه وميض، وبعد دقائق لمع وميض آخر، وكان يغلق ويُفتح، فقالت زوجتي برعب:

«هل تلك عيون؟!!!»

كان كل هذا يحدث تحت السرير، لم يتوقف المقطع عن العمل، فكان سريعاً جدّاً، ولم تبتعد عيناي عن الشاشة، فرأيت رأساً يخرج من أسفل السرير، ثم رأساً آخر، وبعد ذلك يتعدون عن أسفل السرير وينهضون، كانوا أقزاماً بشكل مرعب، وضعت زوجتي

يدها على فمها كاتمة رعبها، التفت أحدهم ونظر إلى الكاميرا وارتعبت جدّاً عندما رأيته!!!

لقد كان يشبهني جدّاً، فوجهي مثل وجهه تماماً!!

رميت الجهاز خائفاً، ونظرت إلى الشخص الآخر الذي التفت إلى الكاميرا، وكان رأسه مثل رأس زوجتي وشعرها ولكن حجمه الصغير مرعبٌ، أخرجت المرأة الصغيرة هاتفها وبدأت تلتقط صوراً لهم معاً، وهم يضحكون ويقفزون، ونحن نائمون لا نشعر بهم!

وبعد أن انتهوا، عادوا إلى أسفل السرير، وعاد ذلك الوميض ينظر إلى الكاميرا، عندما استدركتُ ما حدث أبعدتُ رجلي عن أسفل السرير، وسمعت صوت ضحكة أسفل السرير وكأنها ضحكة شماتة، ولكنّها أشدّ رعباً!!

ما حدث لي أرعبني وأجبرني على أن أنتقل إلى منزل آخر، ولكن مضايقتهم لي لم تتوقف، بل أصبحت أشدَّ سوءاً من قبل؛ لأنهم أصبح لديهم أطفال مثلنا!!!»

«ما أريد قوله لك أنّه يجب أن تعلم أنّ عائلةً أخرى ستكون معك وتلازمك، ولكنّها من العالم الآخر؛ فهم متسلّطون عليك

بفعل فاعل، لذا يجب أن تعود إلى منزلك القديم وتبحث شبراً شبراً عن مكان ذلك السحر الذي سلط عليك تلك العائلة من الجن، وأتمنى أن تجدها بسرعة قبل أن يتطور الموضوع.»

«شكرًا جزيلاً. سأعود إلى منزلي القديم، ما زلت أحتفظ بالمفتاح، وبسبب الحادثة التي حدثت لي، لم يشترِ أحد المنزل.»

«حسنًا، لنأخذ آخر اتصال لهذا اليوم.»

صوت تشويش حاد، ثم صوت لهاث وكأنّ شخصاً يركض منذ فترة:

«أخبرنا بالحقيقة التي أخفيتها.»

توقف التشويش، وكأنه تم السماح لشخص بالتحدث في الوقت الحالي:

«إنها ليست بقصة اختلقتها، أقسم لكم إنها حقيقة.

منذ ثلاثة أيام طلبت مني ابنتي بثينة البحث لها عن قطة ذات شكل محدد، ولم أرفض طلبها؛ لأنني كنت أنوي أن أجلب لها قطة بسبب كثرة جلوسها في غرفتها وحدها، واجهت صعوبة شديدة في إيجاد القطة بالشكل الذي تريده، وحين وجدتها كان سعرها مبالغاً به جدّاً، وأخبرني البائع أنّ القطة من سلالة القطط عند المصريين

القدماء وكان لها معنىً كبير بالنسبة إليهم، أعطيت ابنتي القطة، ولكنّها في البداية لم تفرح أو يظهر على ملامحها أيُّ تفاعل وكأنّ شيئاً عاديّاً حدث لها، وبعد أن أخذتها وأدخلتها معها إلى غرفتها فرحتْ كثيراً، جلست مع زوجتي وأخذنا الحديث المطول وبعد أن تأخر الوقت نمنا، وكانت لدينا إجازة في ذلك الوقت. استيقظت، وقلبي يدق بسرعة، وبعدها بدأ المنزل يهتزّ، وراح الأثاث كلّه يتساقط بشكل متتالٍ وبسرعة، نهضت خوفاً على ابنتي وذهبت إلى غرفتها، حاولت فتح الباب ولكنّه كان مقفلاً، ضربت الباب عدة ضربات ولم يُفتح، وبدأت أصرخ منادياً ابنتي ولم تجبني، تراجعت إلى الخلف وحاولت كسر الباب، ولكن شيئاً ما جعل الباب أكثر قوة وشدة، وفجأة توقف المنزل عن الاهتزاز، وشعرت بأنّ الجاذبية قد انعدمت بالمكان وسقطت على الأرض بقوة ليُغمى عليّ، نهضت بعدها ورأسي يؤلمني، حاولت فتح الباب، ثمّ تمنيت لو أنه لم يُفتَح؛ إذ وجدت عظاماً بشريّةً، وبجانبها امرأة عجوز قبيحةٌ جدّاً، صرخت بها:

«أين ابنتي؟! ولمن هذه العظام؟!!»

التفتت المرأة نحوي، وزمجرت زمجرة قوية، وشعرت في تلك اللحظة أنّ الصرخة يستحيل أن تخرج من حنجرة بشرية، ثم

اختفت مباشرة وكأنها تبخرت في الهواء، بدأت ألتف حول الغرفة برعب، وفي لحظة سريعة وقعت عيناي على كلمة مكتوبةٍ بالدماء على الجدار.»

سأل المذيع:

«وماذا كانت الكلمة؟!»

«خ... خ.. خنساف!» ثم خرج تشويش عالٍ، وبعده صوت انفجار من جهة المذيع لينقطع الصوت، وبدأ يخرج صوت رنين حادّ ومزعج بشدة،

وفجأة توقّفت سيارة المحقق وبعض السيارات التي كانت بجانبها،

استغرب المحقق من توقّف السيارة بشكل مريب، وضع يده عند المفتاح وأدار المحرك فاشتغلت، ثمّ سار إلى شقته ولم يحاول فتح المذياع مرة أخرى.

وصل المحقق إلى شقته الصغيرة المكوّنة من غرفتين للنوم، ومكتب، ومجلس، وصالة متوسطة الحجم، فتح الباب فسمع صوت صراخ أطفاله، أغلق الباب بقوة ثم سمع صوتاً طفولياً يركض نحوه:

«بابا»

قالتها ابنته الصغيرة التي ركضت إليه، انحنى إبراهيم وحمل ابنته واحتضنها قائلاً:

«لقد عدت» ثم ضحكت الفتاة، والتفتت برأسها إلى الصالة وأشارت إلى ابنه البالغ من العمر عاماً واحداً والذي بدأ بالمشي، أنزل بنته وقال بصدمة:

«خالد! يا بن اللعينة، لقد أصبحت تمشي بهذه السرعة!»

وأخذ يضحك، ثمّ حمل ابنه وجلس على الأريكة التي يحبها، وبعد ثوانٍ قليلة، خرجت زوجته من المطبخ وقالت بتجهّم:

«من اللعينة؟!»

ثم راحت تتقدم نحوه، ولم تستطع أن تكمل التجهم بوجهها، فضحكت حين أصبحت أمامه، وبدأا ينظران بعضهما إلى بعض، ثم ضربت قدم زوجها وقالت:

«العشاء جاهز.»

نهض عن الأريكة وحمل خالداً معه وجلس على الأرض؛ لتبدأ الزوجة بجلب الطعام الذي أعدّته مع ابنتها (يُسر).

بدأ المحقق بالأكل، وابتسم بوجه زوجته:

«إنه لذيذ!»

لم تهتم بمديح زوجها، وقالت:

«لديك جريمة جديدة؟»

ونظرت بنصف عين إلى الملفات التي تراكمت، وأصبحت كالتلّ:

«نعم، وأرجو أن أكتشفها بسرعة؛ فالرئيس أعطاني مهلة شهر واحد.»

ابتسمت وقالت:

«دائماً يخبرك أنّ لديك شهراً واحداً لتكشف الجريمة، ثمّ تفاجئه بكشفها في أقلّ من أسبوع واحد. ما يميّزك يا إبراهيم هو تحدي نفسك في تحقيق المستحيل.»

بعد أن انتهى إبراهيم من تناوله العشاء، ذهب إلى مكتبه، وهو يحمل الملفات، وضعها على الأرض، ثم جلس بجانبها وأخذ يقرؤها مرة أخرى.

بدأ يفكّر بصوت مسموع:

«إنِ افترضْنا أنّ الشاهد الذي وجد السيارة ليس المجرم، فما السببُ الذي جعله يأتي إلى تلك المنطقة النائية؟»

«من خلال طريقة الطعن، يبدو المجرم متمرّساً؛ فقد طعن الزوج في أماكن قاتلة جعلته يموت بسرعة.»

«البحث الجنائي قرّر أن المرأة ماتت قبل موت زوجها بفترة، ولكن المجرم لم يتركها، وقد طعنها عدة طعنات قبل زوجها.»

قرأ اسم الشاهد الوحيد الذي كان اسماً معروفاً في منطقته، ووالده رجل أعمال شهير في الأحساء

«حمد رائد المجاج»

«حمد لديه الكثير من التهم، ولكنّ والده يخلّصه منها دائماً.

هل يعقل هذه المرة أن يكون هو القاتل؟»

أمسك بهاتفه واتصل بمساعده، أجاب بعد عدة رنات، وقال بصوت يطالب بإكمال نومه العميق:

«نعم يا إبراهيم، ألا تحترم مواعيد نوم الناس؟»

«كيف يمكنك النوم، وأنت تعمل لكشف جريمة قتل؟! كيف يرتاح قلبك؟!... الآنَ لا يهم هذا، غداً أريد الشاهد حمد رائد المجاج حاضراً في القسم.»

سمع صوت لحاف مساعده يتحرك، ويخرج صوتاً عالياً.

«هل أنت مجنون؟! تريد استدعاء حمد!»

«لا تناقشني؛ فأنا لا أهتم من يكون، أريده غداً في غرفة التحقيق. هل تفهم؟»

«نعم، يا حضرة المحقق.»

أنهى الاتصال وبدأ يرتّب الملفات، ثم حملها ووضعها على الطاولة، وبعد ذلك ذهب إلى المطبخ وحمل كوب ماء وأخذ يشرب منه حتى ارتوى، ثم اتّجه إلى غرفة أطفاله وألقى عليها نظرة سريعة، فرآهم نائمين، عاد إلى غرفته وكانت زوجته ممسكة بالهاتف وتتصفح به، نظرت إلى زوجها وأسندت ظهرها إلى الجدار، وقالت بشوق:

«تعال يا عزيزي تعال»

وأخذت تضرب السرير عدة ضربات...

# الفصل السابع

من قال إنّ الكلمات لا تفعل شيئاً؟!

إنها تلامس الروح، وتُغرق وتُنقذ، وتبعثُ الدفء في النفس، تجعلك تطير وتحلّق وتسمع، وأحياناً تُلقيك على الأرض محطماً ممزّقاً.

«هل أنتِ جاهزة للخروج؟»

قالت الممرّضة الجميلة لخلود التي ارتدت ملابس جديدة مع عباءة سوداء جلبتها والدة عبد الله لها.

ابتسمت لها مجيبةً:

«نعم، جاهزة. هل هم في الخارج؟»

«نعم، تعالي معي، سأوصلك إلى السيارة.»

نزلتا إلى الدور السفلي، وكانت والدة عبد الله في انتظارها، تقدمت بخُطاً سريعةٍ لتمسك بيد خلود.

«شكراً لكِ» قالتها، وهي تتمشّى، فأجابتها:

«لا داعي للشكر يا عزيزتي»

خرجتا فكانت في استقبالهما سيارة ليموزين سوداء مظلّلة، وكان بجانب الباب الخلفي رجلٌ واقفٌ، وما أنْ وصلتا بقرب الباب

حتّى فتح لهما وركبتا ثم أغلقه، في تلك اللحظة كانت خلود مرعوبة بشدة؛ فهي لم ترَ قطّ مثل هذا النوع من السيّارات الكبيرة الفاخرة التي يمكن السكن بها؛ لأنّ كل شيء من الماء والعصائر والفواكه وغيرها موجودٌ فيها، لم تبدِ أيّ ردة فعل، ولكن الأمرَ الذي أثار استغرابها هو غيابُ عبد الله، ولم تستطع سؤال والدته عن ذلك.

تحرّكت السيّارة بسرعة متوسطة، لم تبعد خلود نظرها عن النافذة التي تطل على الشوارع، وقد كانت في حالة شديدةٍ من الإعجاب والدهشة لِما رأته من كثرة النخيل والمزروعاتِ وراحت تفكّر في نفسها:

«قد حدث ما حدث، وقد ترك في نفسي أثراً لن ينسى، وأمات فيّ مشاعري جميعها، وزعزع داخلي، وأفقدني صوابي، حتى بتُّ أدرك أن الأمر لن يمضي، وأنني متوقفة وعالقة في ذلك الوقت الذي لا يمر، نسيت حينها نفسي، ولكنني لم أنسَ ذكرياتي، أشعر أحياناً أنه يجب عليّ الاختباء من تلك الذكريات، إنها تتبعني أينما كنتُ، لقد كنت مشبعة بالأحلام والآمال قبلها، وكنت أمضي أينما قادتني قدماي، مؤمنةً بما يسمّى «حياة»، لم يبقَ للشعور أثر في قلبي؛ لن أنسى كل ما حدث، ولن أشعر من بعدها بشعور يؤرق عينيّ كما فعل ذلك الشعور».

ثبتت يدها عند مقبض الباب، ولكن النافذة فجأة أصبحت تنزل، لتهب عليها رائحة غريبة وجميلة، وكانت تتذكر تلك الرائحة من جدها عندما يحرق الأوساخ وبعض الأشجار التي ذبلت، وتسمى «الطبينة».

بعد ربع ساعة، توقفت السيارة بجانب بوابة ضخمة، اندهشت من حجمها الضخم:

«لقد وصلنا إلى المنزل.»

التفتت خلود إلى أم عبد الله التي كانت تبتسم لها.

فُتحت البوابة، وتحرك السائق إلى الداخل، وصُدِمت بما رأت من حجم الحديقة، والمزروعات، والتماثيل الغريبة التي كان بعضها مخيفاً:

«ما شاء الله! أرجو أن يجعلَ الله تعالى الخير والبركة في داخله.»

توقف السائق، فجاءت الخادمة لتفتح الباب لخلود، ثم اتجهت نحو الباب الآخر لتفتحه لسيدتها.

«كلّ يوم يزيد إيماني بأن كلّ شخص يدخل إلى حياتي هو رسالة لي؛ ولو لم أُدرك ذلك في بداية الأمر، كل موقف يحملُ رسالةً، وكل كلمة ولو كانت بسيطة تحمل رسالة، والإنسان مخيّر في أنْ

يقرأ الرسالة وينتبه لها أو لا، في أنْ يتعلّم أو لا، ولكن الضروريّ استشعار هذا الشيء؛ لأنه يعلّمنا الكثير، ويغير مفاهيمنا لأشياء كثيرة نجهلها.»

دخلت المنزل الذي كان ضخماً جدّاً، وأخذت تنظر إلى كل زاوية في المنزل، وعقب ثوانٍ معدودة التقت عبد الله الذي نظر إليها، وهو يبتسم ابتسامةً يمكنها أن تعقدَ هدنةً بين الأعداء.

تقدّم إليها بشكل غريب وكأنّ مغناطيساً يسحبه نحوها، توقف أمامها قائلاً بصوت خافت:

«الألم وعدني أنه لن يأتي مرة أخرى.»

ثم ابتسم وضحك ضحكة طفولية.

خرج صوت والدته من خلفها، فالتفتت لها:

«هذه ابنتي جود.»

وضعت يدها عند كتفه وابتسمت، ونظرت إلى جود التي بدت متجهّمة وكأنها شُغِلَتْ عن عملها، راحت جود تنظر إليها وتتفحّص كل شبر من جسدها، وفي لحظة ما فتحت عينيها بقوة وبدأت تتقدّم نحو خلود وأمسكت يدها، ثم أبعدت العباءة عن يدها وألقت نظرة في دهشةٍ واستغرابٍ:

«هل هذا وسم خدماموش؟»

أبعدت خلود يد جود بارتياب وأجابتها:

«لا أعلم ما تقصدين، ولكنّ هذه الندبة أصابتني منذ الصغر.»

تقدم عبد الله، وقال بفضول:

«هل يمكنني رؤيتها؟»

شعرت بالخوف من أفعالهما التي بدت انتهاكاً للخصوصيّة، فقالت الأم، وهي تمسك بيد خلود وتأخذها إلى الصالة:

«أعتذر بسبب تصرّفاتهما.»

تبسّمت، وبينما هي تسير مرّت بين أروقة عديدة وضخمة.

«يا للهول! كيف يمكنهم حفظ كل هذه الأماكن؟! أعتقد أنّ منزلهم أكبر من الصحراء التي أعيش بها»

قالت بصوت خافت: « ما شاء الله!»

وصلوا إلى الصالة:

«عزيزتي، تفضلي بالجلوس.»

اتجهت نحو أقرب أريكة وجلست لتغوص بداخلها، وكأنها جلست في غيمة بالسماء لخفّتها وراحتها، جلس عبد الله بعيداً عنها،

أمّا والدته فقد جلست بجانبها، لم ترفع عينيها عن الأرض من شدة خجلها:

«ستعتادين هذا.»

رفعت عينيها نحو والدة عبد الله، واجتاحها شعور غريب:

«ماذا تقصدين؟»

«كل شيء سيتضح غداً، ولكن يجب أن تنالي قسطاً من الراحة.»

أخذت تبحث عن جود؛ فهي الفتاة التي يمكن أن تبادلها المشاعر في هذه اللحظة، ولكنّها لم تكن موجودة، انزعجت كثيراً بسبب هذا؛ فليس من شيم العرب أن يتركوا الضيف تحتَ أيّ ظرفٍ. انقطع صفاء تركيزها بعد أن تحدثت أمّ عبد الله قائلةً:

«ميري، تعالي وخذي خلود إلى غرفتها الجديدة لترتاح.»

تغيرت ملامح خلود حين سمعت كلمة «غرفتها الجديدة».

جاءت الخادمة نفسها التي فتحت الباب لها عند وصولها إلى المنزل، وقفت بجانبها وانحنت بشكل غريب، ثم قالت:

«سيّدتي، تفضلي معي.»

نهضت ومشت خلفها، وصعدت السلالم، ونظرت إلى الأعلى،

فرأت العديد من الأدوار، وبعد ثوانٍ وصلت إلى الدور الثاني ودخلت إلى الرواق، وكانت الأبواب كثيرة، وكل باب تفصله عن الآخر مساحة ليست بسيطةً، وبينما هما تتقدمان فُتح أحد الأبواب فجأةً، وخرج رجل يخفض رأسه ويضع هاتفه على أذنه ويصرخ غاضباً، ولكنّه رفع رأسه بسرعةٍ، فالتقت أعينهما معاً، ولم يهتم كثيراً وأكمل مشيه:

«اللعنة! هل استدعاني هذا اللعين؟ ماذا يريد مني؟ أنا لم أفعل شيئاً!

حسناً... حسناً، سأخبر أبي ليحل مشكلة هذا المعتوه!» ثم بدأ ينزل إلى الأسفل.

توقفت الخادمة، وقالت:

«سيّدتي، هذه غرفتك.»

انحنت الخادمة ثم ذهبت، مدت يدها وفتحت الباب؛ لتندهش من حجم الغرفة، فهي كبيرة جدّاً، دخلت وأغلقت الباب خلفها، ولكنّها لم تقفله، رأت السرير الضخم الذي يكفي لثلاثة أفراد، وطاولة طعام عليها صحن متوسط الحجم، وفيه العديد من أصناف الأكل والفواكه.

نظرت إلى النافذة الضخمة الزجاجية، وبجانبها الستائر ذات اللون البني الفاتح، وقفت أمام النافذة، فرأت منظراً ساحراً أسر عينيها؛ الحديقة الضخمة، والشلال الكبير، والمسبح الضخم، حرّكت رأسها يميناً قليلاً، فشاهدت الرجل الذي خرج من غرفته غاضباً يتجه نحو سيارته ويركبها ثم تشتغل سيارته ويحركها، صدر صوت خشنٌ من السيارة بشكل متكرر إلى أن خرج رجل ضخم اتجه نحو البوابة، وبدأ يحاول فتحها، ولكنّها كانت عالقة على ما يبدو، وبعد عدة محاولات، فتحها ولكن الرجل في هذه اللحظة نزل من سيارته وذهب نحو البوّاب وضربه على وجهه ليسقط على الأرض، ثم ضربه على بطنه، وعاد ليركب سيارته مبتعداً عن المكان.

فجأة، بدأت تسمع صوت طرق باب غرفتها، فالتفتت نحو الباب وقالت بصوت خافت: تفضل.

لم يتوقف الطرق، فاقتربت من الباب وفتحته بخفة، ورأت جود واقفةً خلف الباب.

«يمكنني الدخول؟»

قالتها، وهي تبتسم.

«نعم نعم، يمكنك.»

بادلتها الابتسامة وسحبت الباب لتفتحه إلى آخره، ثم دخلت جود وأغلقت الباب قائلةً:

«أتعلمين أنني لم أدخل قطّ هذه الغرفة؟» وبدأت تضحك بخفة.

«لا ألومها بكل صراحة؛ فمنزلهم كبير جدّاً.»

هذا ما خطر على بال خلود.

ذهبت جود إلى السرير وجلست، وبدأت تنظر إلى خلود التي لم تخلع عباءتها:

«لماذا لم تخلعي عباءتك؟»

ابتسمت خلود بحرج، ثم أجابتها:

«لا أعرف، ولكنّني أشعر بتوتر.»

«أوه! لا تشعري بذلك؛ أنتِ بمنزلك الآن.»

ابتسمت خلود بتصنع، وقالت: «أقدر لك هذا.»

وبعد ثوانٍ معدودة تشجّعت وقالت: «حسناً، سأخلعها.»

نظرت جود إلى الطاولة وإلى الطعام الذي ما زال كما كان، أعادت نظرها إلى خلود ورأتها تلبس جلابية للعجزة، لم تستطع

أن تكتم ضحكتها التي خرجت بقوة، نظرت خلود إليها وقالت بصدمة:

«ما... ما بكِ؟!»

قالت، وهي تضع يدها عند بطنها: «لا شيء... لا شيء.»

«ما بال تلك الفتاة الغريبة؟!»

بعد ثوانٍ توقفت ضحكات جود لتصمت، ثم تنهض وتمسك بيد خلود وتقول:

«أريد أن أعرف كيف حصلتِ على هذا الوسم!»

«أنا لا أفهم عن أيّ وسم تسألين.»

أشارت بإصبعها إلى شامة على شكل عقرب كانت بيدها.

«أقسم لك إنني لا أعرف عمّ تتحدثين.»

لم تصدّقها جود؛ لأنّ مثل هذه الوسوم تتطلب جهداً كبيراً للحصول عليها، وهي تقول إنها لا تعلم، فقالت:

«هذا الوسم قوي للغاية، وقد يكون مشابهاً لِما أعرفه، ولكنّه خطرٌ عليك إنْ كان حقيقيّاً.»

ثم ابتسمت بخبث، وهي تنظر إلى الأعلى.

# الفصل الثامن

# في مكتب المحقق إبراهيم

«حمد رائد المجاج، أنت تعلم أنك متهم في قضايا عديدة، ودائماً تفلت منها بشكل عجيب، وكأنّ القدر يحالفك لينقذ رأسك كل مرة؟!»

كانت عينا حمد تنظران نظرةَ تحدٍّ إلى عيني المحقّق إبراهيم، فقال بتهكم:

«لا أعلم عمَّ تتحدث.»

أشار بإصبعه إلى الملف وأردف قائلاً:

«انظر إلى الملف، هل توجد قضية مسجّلة ضدّي؟!»

ابتسم المحقق بثقة، وأمسك بالملف وفتحه من المنتصف ورماه على حمد ليضرب وجهه ثم يسقط على فخذيه، غضب حمد بشدة ونهض ليضرب المحقق، ولكن مساعده أمسكه بشدة من كتفه، وأعاده ليجلس على الكرسي قائلاً:

«اجلس يا حمد اجلس.»

أمسك المساعد بالملف، ووضعه على الطاولة بقرب حمد؛ ليجعل الكلام واضحاً له:

«هل تريد أن أقرأ لك يا معالي الأمير؟!»

قالها إبراهيم بتهكم.

«والأمر الثاني ما بال يدك يوجد عليها آثار؟»

بدأ حمد يقرأ المكتوب، وبعد دقيقة تغيرت ملامح وجهه من جمود وتحدٍّ إلى رهبة وذعر:

«لقد عرفت طوال حياتي أنّ القمر سيعود بعد سطوع الشمس، وأن الخدعة ستنكشف يوماً ما، ولن تنطلي على الكثير، توقّع المستحيل؛ لأنه قد يحدث!»

«حسناً، عليك اللعنة!»

ضرب الطاولة قائلاً:

«ماذا تريد مني أخبرني؟!»

أمسك بالملف الآخر، وفتح أول الصفحات منه وأخرج صورة قائلاً:

«هل تعرف هذا الرجل؟»

شعر بالرعب بعد ما رأى الصورة:

«نعم، إنه الرجل الذي وجدت جثته في سيارته مع زوجته.

أخرج صورة أخرى:

«وهل تعرف هذه الفتاة؟»

صُدم بعد أن أراه صورة الفتاة التي رآها بمنزله والتي وجدت أخاه عبد الله وأنقذته، فقال باندفاع:

«نعم نعم، إنها الفتاة التي أنقذت أخي.»

صمت قليلاً بتفكّر، ثم تغيرت ملامحه فجأة:

«هل تقصد أنها والداها؟!!»

وضع كف يده عند فمه بصدمة.

«نعم، هما والداها. هل تعرف شيئاً لا نعرفه؟»

«لا أعرف شيئاً، ولكن...»

لم يستطع إكمال جملته، فدخل رئيس القسم، وبجانبه رجل:

«أوقف هذا التحقيق اللعين!»

قال الرئيس.

نهض حمد عن كرسيه، ونظر خلفه ليرتعب بشدة:

«أبي، شكراً لحضورك، كل شيء بخير. لا تقلق؛ هذا المحقق كان يسألني بعض الأسئلة عن الجثتين اللتين أبلغت عنهما.»

نظر رائد إلى عيني المحقق الذي كان يجلس بهدوء.

«لقد أخبرتك يا حمد ألّا تدخل نفسك بهذه الأمور وتتركها، ليتك تركت الجثتين تتعفّنان، ولم تبلغ الشرطة!»

غضب المحقّق إبراهيم من كلام رائد، ونهض عن كرسيه وضرب الطاولة بغضب قائلاً:

«وهل المواقف الجيدة بالنسبة لكم عيب؟ أم العيب أصبح أمراً جيداً لكم؟ لقد فعل حمد ما يجب أن يفعله أي مواطن، وأنا فعلت ما يفعله أي محقق!»

خرج رائد، وهو يمسك معصم ابنه بقوة، وخلفه الرئيس الذي لم يغلق الباب، جلس إبراهيم وأشار إلى مساعده أن يغلق الباب:

«نفتح باباً فينسدُّ بابٌ آخرُ، ونجد مفتاحاً فيكون غير مناسب للباب الآخر.»

«لا تقلق يا إبراهيم، عندما تجد طرف خيط مشبك بعشوائية، يمكنك فكّه بكل سهولة.»

«بعض الأشياء تجدها صعبة، وحلها يحتاج إلى الكثير من التعب ولكنّك لو سلّمتَها لشخص آخر فستجد أنها سهلة وبسيطة بحق، حاول ألّا تترك شيئاً؛ لأنك لم تقدر على فعله أو حله، اتركه على نار

هادئة فترةً كافيةً لينضج ما في داخله؛ لكي تتدارك ما يدور حولك، وتكشف ما لا يُرادُ كشفه! هكذا أمور الحياة، تنتظر الفرصة لتُنجَز.»

تغيرت ملامح مساعده، وضرب نفسه بكف يده، وقال:

«لقد عدنا إلى فلسفتك الحيوانية.»

ابتسم إبراهيم:

«أنت تعرف أنني أحب أن أتغابَى معك، ولو أردتُ أن أتحدث معك في أمور الحياة فهي مسألةٌ ليست بصعبة؛ لأنك لم تذُقِ الشرارات المتطايرة التي تتجه نحوي وكأنها تقصدني.»

«لا تجعل الأمور كلها تحدث على عاتقك؛ وكأنّ أمور الدنيا موجهة إليك وحدك دون غيرك.»

ضحك إبراهيم وقال: «أنت ولدت، وفي فمك ملعقة من الذهب، وكل شيء تريده يمكنك الحصول عليه بالواسطة.»

«لو كانت لدي الواسطة الكافية لجعلتك مساعدي يا أيها الغبي.»

ضحك محمد.

«أنت لا تريد أن تثير الشكوك حولك، هي فترة بسيطة فقط، وستحصل بعدها على ترقية، فهذا الأمر معروف.»

رفع صوته قائلاً: «مثل رئيس القسم، أعطه شيئاً يخدمك، ومن حوله يعاملونه كالدمية ليس لها صوت ولا نفس، فقط تنفذ الحركات التي تريدها أيديهم، الجميع يعرفون ما يريده ويفهمون ما لا يريده. أنت تعرف ما أقصده يا صديقي.»

أخذ محمد يحك ذقنه، وبدا التوتر على معالم وجهه:

«توقف عن جلب طاريه» قالها بصوت خافت.

«وهل تخاف من تهديده؟ لا يمكنه طردي، فهو يحتاجني كثيراً أكثر من أي محقق موجود بالقسم، لا أقول إنني حللت جميع قضايا الأحساء ولا إنني الأفضل، ولكنني أفهم النفس البشرية جيّداً؛ فنفس ذلك المعتوه نتنةٌ، هو يريد شخصاً لا يهاب شخصاً آخر على الإطلاق حتى هو نفسه!!»

بدأ هاتف إبراهيم بالرنين، أمسكه بسرعة ليرى رقم الهاتف مسجلاً

«خالد الاستخبارات» ردّ عليه وقال:

«وهل قرّر إبليس الاتصال بي؛ ليجدّد عقده معي؟»

«ليس عقدك فقط سينتهي، بل حياتك معه!»

«أخبرني بما تريد. ماذا يحدث؟»

«جريمة قتل جديدة، ولكنّها من النوع الآخر، من النوع الذي لا يصدقه أحد، ويهابه الكثير.»

«إذًا، إنها من النوع المفضّل عندي»

«نعم، يمكنك قول هذا.»

«أخبرني بالتفاصيل اللازمة عن المتهم.»

«يصعب التحدث عنها في الهاتف، ولكن يسهل رواية جزء منها؛ لتصدّق بنفسك أنه شيء يكذّبه الكل، ويصدّقه الدجّالون، ويروّج له المجانين في الأفلام.»

«هل أنت واثق مما قلته؟»

«مئة بالمئة يا صديقي!!!»

«لكنّني مشغول في هذه الفترة؛ لديّ جريمة قتل أسعى جاهداً إلى كشفها سريعاً، ولا يمكنني التخاذل أو التأخير في التحقيق، وأنتَ تعرف أنني أحب أن أعمل كل شيء على أفضل وجه ممكن.»

«هل تثق بمساعدك؟»

تردد قليلاً:

«نعم، نوعاً ما.» ثم نظر إلى محمد.

«إذاً سلّمه المهمة التي لديك، وأنت تعال إلى الرياض بالسرعة القصوى؛ فنحن بحاجةٍ إليك، وجميع المنافذ مغلقة إلى الرياض؛ لكي نمنع هروبه.»

«سمعاً وطاعةً؛ فأنا في خدمة الوطن يا خالد، وبإذن الله سيكون الوضع سهلاً هيّناً علينا.»

«وداعاً، أرجو لك السلامة في قدومك إلينا.»

أغلق الهاتف ونهض من مكانه، وأمسك بمفاتيح سيارته، وقال:

«القضية كلّها في عُهدتك يا محمد، والملفّ كلّه في الدرج الثالث. ستجد جميع ملاحظاتي حول القضية، وسأحاول العودة بسرعة، ولكن الاتصال الذي أتاني أكبر من أن أرفضه!»

نهض عن الكرسي، وتقدم نحو الباب، وخرج من مكتبه، ليقول محمد بصدمة:

«ولكن ماذا أفعل؟!»

لم يستوعب محمّدٌ جيّداً ما حدث قبل قليل، ولكنه راجع كلامه، وأدرك أنه أصبح المحقق في هذه القضية.

# الفصل التاسع

## (١)

الأمل هو أن تجد شيئاً ما يستحق التشبث به في وقت حاجتك، وأن تجدَ من يهتم بك وكأنك آخر شخص في حياته، وقد أصبح العثور على الأمل شديد الصعوبة، أمّا الذي غدا سهلاً فهو (الخيانة).

مَثَلُ الخائن كمثل من ائتمنته على مالك بكل ثقة فسرقك، ومن ملّكتَه قلبك فخذلك، ومن سلّمت له روحك فسلبها بنية أنه لا يريدك في حياته بعد ما أخذ منك ما يريده، ولكن السؤال الوحيد الذي يخطر ببالي:

ما الذي تريده مني؟!

في منتصف الليل، استيقظت خلود من نوم غير مريح؛ الفراش مريح، واللحاف مريح، والهواء النقي ينعش جسدك؛ ولكن!

بدأت تشعر أنها مراقبة من شخصٍ ما، شخصٍ لا يريد الخروج ولكنه يريدها يفكر فيها بنية غير حميدة، أمرٌ غريب أن يأتي هذا الشعور، وأنت في ضيافة شخص، نهضت من السرير واتجهت إلى الطاولة، فأمسكت قارورة ماء وفتحتها وبدأت تبلّل ريقها، وما أن أنهتها كلها حتى بدأت تبحث عن سلة المهملات، فوجدتها

ووضعت القارورة وعادت إلى السرير، تمددت وتلحفت، أغمضت عينيها وحاولت النوم، ولكن شعوراً غريباً أصابها بالتدريج، شعرت بالجفاف في حلقها ثم شعرت بظمأ شديد لا ينتهي، نهضت من السرير وذهبت بخطاً سريعة إلى الطاولة، فأخذت قارورة ماء أخرى وفتحتها، ثم شربت بظمأ شديد وكأنها كانت محرومة من الماء مدّةً طويلةً، فشعرت بالراحة قليلاً وزوال الجفاف، ولكنّ حلقها فجأة جفّ مرة أخرى، وبدأت تشعر بأن يدها تحترق، رفعت يدها ونظرت إلى مكان الشامة في يدها فصُدِمت بما رأته؛ الشامة التي كانت على شكل العقرب بدأت تتحرّك وصار شكلها أحمر بشدة وكأنها نار، ورأت بعدها شامة أخرى على شكل ثعبان يتعارك مع العقرب، لم تصدق ما رأته، وأخذت تضرب يدها عدة ضربات، ولكنها رأت العقرب يبتعد عن مكان الضربة، تفاجأت بعد أن رأت العقرب ينظر إليها بأعين سوداء وكأنه عقرب حقيقي متجسد بيدها، خرجت همسات خفيفة:

«حرّريه»

«اجعليه يتحرّر؛ لكي يحميك.»

خافت كثيراً، وراحت تتراجع حتى اصطدمت بالجدار وحاولت

الصراخ، ولكنها لم تمتلك الطاقة الكافية لذلك، وقد جفّ حلقها وشفتاها كلياً، ذهبت إلى الحمام وأدارت الصنبور، فانهمر الماء، بدأت تشرب متجاهلة يدها، ولكنها فجأة انتقلت إلى مكان آخر لترى امرأة تطير من مكانها، وحولها الكثير من المخلوقات الغريبة، قرونهم طويلة، وألوان أجسادهم غريبة، بعضهم لون جسده أحمر وكأنه ملطخ بالدماء، وبعضهم الآخر أسود، وكان فوق رأسها مخلوق صغير، لونه أسود كالظلام، وعندما شعر بها التفت ونظر إليها بخبث، وفي لحظة التفّ جميع من بالغرفة عليها؛ لترتعب من أشكالهم المخيفة، بدؤوا يتقدّمون نحوها، والأرض تهتز، والمرأة لم تتجرأ على الالتفات، وكان شعرها يتطاير ولم تتمكّن خلود من معرفتها، وفجأة تشكل أمامها عقرب كبير جدّاً وهجم عليهم ليحميها، ثم أغمي عليها وكأنّ ذلك العقرب هو الذي يمدّها بالطاقة لتتحرك.

( ٢ )

الأحلام منفذ آخر لعالم جديد، قد تتشكل أشياء غريبة سمعت عنها أو هي سمعت عنك وتشكلت في حلمك، وليس كل حلم تحلم به لن يكون واقعيّاً؛ فإنّ خمسين في المئة من أحلامنا واقعية وحدثت لنا وعشناها، ولكن بروح أخرى.

هل كنت تعتقد أنّ الروح فقط ترحل إلى السماء في وقت نومك، ثم تعود إليك عند يقظتك؟

في الحقيقة، ليس هذا ما يحدث.

الذي يحدث أنك تعيش حياة أخرى قد تكون بها فقيراً أو غنيّاً وربّما ملكاً، كن واثقاً أنّ لديك العديد من الأرواح، وأنّ لديك علماً ليس لدى الجميع، أصبحت الآن تفهم ما يدور حولك، وما عليك أن تفعله في الوقت الحالي أن تفرغ من حياتك هذه وتذهب إلى الأخرى.

نهضت خلود، وهي تشهق شهقة قوية، وكان جسدها مبلّلاً من العرق، أبعدت اللحاف عن جسدها، وهبت رياح باردة على جسدها، فشعرت بلسعة كهربائية، وانتفضت من السرير واقفةً،

وذهبت إلى الطاولة ورأت قارورتين فارغتين من الماء، فتساءلت:

«هل ما حدث حقيقيّ؟!»

نظرت إلى يدها فكانت الشامة موجودةً في مكانها، أمعنت النظر جيّداً ورأت شيئاً متغيّراً؛ فقد كان جزء بسيط من طرف يد العقرب مقطوعاً أو مقضوماً، شعرت بتوتر شديد، لم تعرف ما تفعله في هذه اللحظة، ولكن شعوراً ما دفعها لكي تشرب الماء، وبالفعل شربت قارورة كاملة ولم تروِ عطشها، فأمسكت بأخرى وشربتها ثمّ أخرى... أنهت القوارير التي كانت موجودةً على الطاولة ولم تروِ عطشها. نظرت إلى الفواكه وأمسكت بموزة وأكلت منها، وما أنْ بلعتها حتى شعرت بالراحة، أكلتها كلها ثم أمسكت بتفاحة وقضمت منها، ولكنّها فجأة سقطت على الأرض، ولم تقدر على الحركة وكأنّ شيئاً ما أوقف عمل جسدها تماماً، راحت تحاول الحركة والنهوض ولكنّها لم تستطعْ، بدأت تنظر إلى أرجاء الغرفة، ولكنّ كل شيء كان طبيعيّاً،

وبعد عدة دقائق عادت إليها القدرة على الحركة بشكل طبيعي، فنهضت وحاولت لمس التفاحة، ولكنّها قبل أن تلمسها شعرت بلدغة في طرف إصبعها.

# ( ٣ )

العوالم كثيرة، ولكنّ الحقيقة واحدة، لهذا (الحقيقة مخفاة) على أنظار البعض، ونحن لا نحاول أن نتدارك ما حولنا؛ لأننا نجهل، والعدو الحقيقيّ لنا هو الجهل، والجهل هو الخوف ذاته.

يجب أن تؤمن أنّ الكثير لم تعرفه بعد، وإنْ عرفته فستصنّفه تحت الخوارق في الطبيعة أو الشعوذة، ولكنّها مجرد أشياء من الطبيعة!

لم تتوقف الطرقات على باب غرفة خلود، وما مرّت به في هذا المنزل لم تستوعبه كله؛ فهو شيء غريب لم يحدث لها قط ولم تتوقع حدوثه أصلاً، لهذا انقطع الاتصال بينها وبين محيطها الخارجيّ؛ لتدخل في غياهب تفكيرها المستمر.

فُتح الباب، فدخلت الخادمة بتوتر، ورأت خلود جالسة على طرف السرير، غائبة عن العالم، فاقتربت منها:

«سيدتي، هل أنتِ بخير؟»

لم تشعر خلود بها، فتقدمت أمامها وبدأت تلوّح بيدها، وبعد ثوانٍ شعرت بها، واتّسعت حدَقتا عينيها؛ لتستعيد تركيزها بعالمها، أعادت الخادمة سؤالها:

«أأنتِ بخير؟»

تبسّمت خلود: «نعم، ولله الشكر والحمد.»

«الحمد لله... سيدتي، الإفطار جاهز الآن، والسيد عبد الله أوكل إليّ مهمة إيقاظك لكي تنزلي وتأكلي معه.»

شعرت بتوتر وقالت: «لكن... هل سنأكل وحدنا؟»

«نعم سيدتي، هل توجد مشكلة؟»

لم تعلم كيف تتصرف بهذا الأمر، أهو تَمادٍ أم جهلٌ بمدى خطورة هذا الفعل لدى العرب، قطعت الخادمة تفكير خلود بقولها:

«هل تريدين أن أجلب لك الإفطار إلى غرفتك؟»

نهضت خلود وقالت:

«لا، سأنزل ولكن أريد لبس عباءتي.»

تبسمت الخادمة، وقالت قبل أن تخرج:

«سأنتظرك في الخارج.»

«حسناً، شكراً لكِ.»

خرجت الخادمة، فلبست خلود عباءتها بسرعة وبتوتر شديد، ورتّبت حجابها، وظلّت فترة بسيطة واقفةً أمام المرآة رغم توتّرها،

ثمّ خرجت من الغرفة وكانت الخادمة في الخارج، فقالت لها بإعجابٍ شديدٍ:

«أنتِ جميلة سيدتي!»

ابتسمت خلود بحرج، فسألتها الخادمة: «سيّدتي، ما الإفطار الذي تفضلين تناوله؟»

«بكل صراحة، نحن لا نفطر، ولكنّني سآكُلُ ما يأكله عبد الله.»

ابتسمت الخادمة بخبث، وقالت:

«حسناً، سيدي عبد الله يفضل البان كيك، فهي الوجبة المفضّلة لديه.»

لم تعرف خلود ما هذه الأكلة، ولكنها تبدو شهية، لذا لم تعلق عليها، وصلتا إلى الدور السفلي وذهبتا إلى قاعة الطعام التي كانت فيها طاولة طويلة ممتدة بعيداً، والعديد من الكراسي التي تكفي لعوائل كثيرة، رأت عبد الله جالساً وبجانبه والدته، وفي الجهة الأخرى جلست جود وإلى جانبها رجل كبير السن، بالإضافة إلى الرجل الذي التقته وقت ذهابها إلى غرفتها، أشارت الخادمة إليها أن تجلس على أحد الكراسي بعد أن أفسحت لها المجال.

«أهلاً بك خلود، شكراً لك لقبول دعوتنا.» قالت والدة عبد الله.

ردّت خلود: «لا شكر على واجب يا خالة، أنا التي ينبغي لي أن أشكركم على حسن ضيافتكم وحسن تعاملكم معي.»

ثمّ نظرت إلى جود التي كانت تنظر إليها بحنق وغضب شديدين، ونظرت بعدها إلى الأم التي أشارت إلى الرجل الكبير قائلةً بفخرٍ: «هذا زوجي أبو حمد رائد المجاج، رجل الأعمال الأكثر شهرة في الأحساء، وربّما في المنطقة الشرقية كلّها، أعماله تمتد خارج السعودية ودول الخليج.»

نظرت خلود إلى «أبي حمد» وكان متجهماً، فشعرت بأنها غير مرغوبٍ فيها هنا، ولكنّها تبسّمت له،

ثم نظرت إلى الأم التي أشارت إلى ابنها الآخر وقالت:

«هذا ابني حمد.»

التقت أعينهما، ولم تخلُ نظراتها من الإشفاق والحزن على شيء لا تعرفه.

ردّت خلود: «شرفني لقاؤكم.»

صفقت الأم بيدها، فأتى الخدم ووضعوا الأطباق الشهيّة المتنوّعة.

## (٤)

خرجت خلود إلى الحديقة برفقة عبد الله الذي دعاها للخروج، وكانت مترددة قلقةً من جرأته، ولكنّها وافقت؛ فهي قد عرفته وجلست معه فترة طويلة، واهتمت به في أصعب أوقاته، تحدث عبد الله قائلاً:

«هل نمتِ جيداً؟»

«نعم، بعض الشيء.»

«وما الشيء الذي حدث؟»

«لا شيء حدث، لكنّني حلمت حلماً غريباً.»

«وهل حدث شيء في الحلم يجعلك تقولين بعض الشيء؟ إنّه أمر غريب!»

استغربت خلود من حديث عبد الله؛ فلسانه أصبح أكثر طلاقة، ولا يكرر كلماته كما كان من قبل، وأجابت:

«لا تقلق؛ الأحلام لن تتحقق.»

«لكن حلمي تحقق»

ثم نظر إليها.

«إذاً، أنت محظوظ للغاية؛ فأحلامي بعيدة كلّ البُعد عن التحقيق.» كانت تعلم تماماً أنها تكذب؛ لأنّ أحد أحلامها يتحقق الآن.

«لم أعتقد أنك بهذا الغنى.»

«ماذا كنتِ تتوقعين؟»

«لا أعلم، ولكنّ آخر ما توقعته أن تكون هكذا؛ فقد اعتقدت أنك تائه عن خيمتكم.»

«أشعر أنني محظوظ لأنني تهتُ؛ فقد التقيت ملاك الرحمة، خلود التي أنقذتني واعتنت بي كلّ العناية.»

«وأنا كذلك أشعر بأنني محظوظة؛ لأنّ والدي لم يعُد من المستشفى، ولو عاد ورآني على تلك الحالة مهتمّةً بك، فلن يتفهّم ما جرى وسيقتلنا ويسلخ جلودنا.»

ابتسم عبد الله، وبدأ رأسه يهتز قائلاً:

«نعم نعم، تذكرت ش.. شيئاً يجب أن أخبرك به.» قالت خلود: «وماذا تريد أن تقول لي؟»

وقف أمامها، وهو يبتسم بخبث ناظراً إلى عينيها المرتبكتين:

«لقد ماتت عائلتك، ووجدوا جثثهما في سيارة والدك، وقد سمعت هذا الكلام من ضابط الشرطة الذي يعمل تحت إمرة والدي.»

صُعِقت خلود بما سمعت، وبدأت رجلاها بالرجفان، حاولت الصمود والتحمل، ولكنّها سقطت على الأرض بعد ما عجزت عن الوقوف، تحدّرت دمعة من خدها، وقالت بخوف شديد وكأنها في حالة هذيان:

«لا لا، بالتأكيد أنت تمزح. لا، مستحيل مستحيل!!!»

أخذت تضحك تارة وتبكي تارةً أخرى، ودون شعور من عبد الله، انحنى وحضن خلود التي لم تحاول إبعاده؛ فقد كانت تحتاج إلى هذا الحضن بشدة، وبدأت تذرف دموعها بحضن عبد الله، لم يمكنها التصديق، أمسك عبد الله برأسها، وهي في حضنه وضغط عليه؛ ليكتم صوت شهقاتها، وقد علق بعض لعابها على ثيابه التي ابتلّت من دموعها:

«توقفي عن البكاء؛ فأنا لا أحتمل، أرجوك توقفي.»

لم يتحمل وبدأ يبكي معها قائلاً:

«أنا في غاية الأسف. أقسم لك إنني لم أقصد أن أخبرك بهذه الطريقة، ولكن شيئاً ما في نفسي أجبرني، حاولت مقاومته، ولكنه كان أقوى مني.»

انهار الاثنان باكيَيْنِ وكأنهما يتشاركان الألم...

## ( ٥ )

من أصعب الأمور أن تحاول وصف شيء لم تمر به، ولكن من السهل جدّاً أن تحرّك القليل من ذاكرتك لتستحضر تلك اللحظة التي كنت تتألم منها؛ لكي تصفها بكل دقّة وراحة.

هذه ما تسمى ضريبة الكتابة؛ فلا يمكن لك أن تصنع لحظة مؤلمة وتجسدها في مشاعر القارئ إلّا عندما تتذوّقها.

في تلك اللحظة التي كانت تبكي فيها خلود، كان قلبها يتمزق غير مصدّق ما يحدث، ومن ناحية أخرى لم تحتمل ضغط عبد الله عليها، فأُغمِي عليها دون قصد، وبعد أن توقف بكاؤها اعتقد عبد الله أنها هدأت، وما أنْ تركها حتى سقطت على الأرض، وقد ظهرت آثار دموعها على وجهها الجميل، نهض مرتعباً وذهب إلى والدته التي كان ابنها حمد بجانبها، وأخبرها بكل شيء، لم تستطع والدته أو شقيقه معاتبته؛ لأنهم كانوا في لحظة حرجة يحبسون أنفاسهم، وجد حمد خلودَ ملقاة على الأرض، فحملها وأخذها بالسيارة، وقد ركب شقيقه بجانبه، ومن الجهة الأخرى كانت والدتها تطرق باب الحارس الذي ارتعب من حضور سيدته الملهوفة بهذه الصورة،

فُتح الباب وضغط حمد على الدواسة ليسير بسرعة عالية، لم يتأخّر وصوله إلى المستشفى؛ لأنه لم يتوقف عند أي إشارة، لكنّ الله عزّ وجلّ حفظهم من أي حادث يحصل لهم، وبالتأكيد هذه محبة من الله تعالى لخلود، لقد أنجاها من جنون حمد وسرعته، وضعها في سرير الطوارئ، وأتى الكثير من الأطباء ليعاينوا حالة خلود، وسألوا حمداً بعض الأسئلة، فأجابهم:

«لقد اكتشفت فجأةً مقتل عائلتها كلّها.» ارتاحُ بعض الأطباء، وبعضهم الآخر أشفق وحزن عليها، ثمّ أدخلوها إلى غرفة خاصة، وبدأ بعض الأطباء بالاهتمام الشديد بها، وكان عبد الله ينظر إلى الأطباء، وهم في حالة من الارتياح، وقلبه يتمزّق ألماً؛ فالألم يحاصره من كلّ الجهات، مستغلًّا حالة ضعفه الشديد، ولكنّ إيمانه كان أقوى من الألم الذي حاول السيطرة عليه، وفي الجهة الأخرى كان حمد مختبئاً في أحد أروقة المستشفى ينتظر شخصاً ما، وما هي إلّا ثوانٍ قليلةٌ حتى جاءت الطبيبة الجميلة نحوه لتسأله عندما رأته:

«حمد، ماذا تفعل هنا؟ هل والدتك بخير؟»

أومأ برأسه وأجابها:

«ليست والدتي بل خلود.»

«آه تلك الفتاة المسكينة ماذا جرى لها؟!»

«شقيقي الأحمق أخبرها بمقتل عائلتها بطريقة غبية جدّاً، فلم تحتمل ما سمعته وأغمي عليها.»

وضعت كف يدها عند فمها قائلةً:

«يا لها من مسكينة! هل حالتها مستقرة الآن؟»

«نعم، يمكنك قول هذا، ولكن أريدك يا سمية أن تعديني بالاهتمام الشديد بها مثل السابق.»

ابتسمت وقالت:

«أحبّ كثيراً أن تنطق اسمي؛ لأني أشعر عندها أنك تنطقه حرفاً حرفاً؛ ليتجسد اسمي وقلبي معه.»

أمسك حمد بيدها وأجابها:

«اليوم أريدك؛ فأنا مشتاق لحنانك.»

تبسّمت سمية، وقالت دون حرج: «وأنا مشتاقة لك يا حمد.»

لاحظ حمد شخصاً يركض من بعيد نحوه، وكان يرتدي ملابس رسمية، فأدرك أنّ والدته قد أرسلت أحد الحراس إليه.

أبعد سمية عنه، وقال بصوت عالٍ:

«شكراً لك يا طبيبة سمية، لقد اطمأنّ قلبي أنها بخير.»

التفتت سمية إلى الجهة التي ينظر إليها، وفهمت الأمر قائلةً:

«لا شكر على واجب يا سيّد حمد، أرجو لك الصحة والعافية.»

ثم ذهبت، وبعدها وصل الحارس الذي كان يلهث إلى حمد، وقال:

«يا سيّدي، لقد بحثت عنك فترة، أريد أن أخبرك بأمرٍ لن يعجبك.»

«أخبرني بسرعة، ماذا تريد؟!»

«شقيقك عبد الله...»

قاطعه حمد:

«ما به؟! هل هو بخير؟»

«لا... لقد أصبح يصرخ بقوة ويضرب نفسه وكان يكرر كلمة.. توقف عن المقاومة توقف.. وبعد أن رآه الأطباء، أخرج أحدهم إبرة مهدئة وحقنه بها، وهو الآن في غرفة خاصة به.»

«حسناً، اعتنِ به جيّداً. سأزوره بعد قليل، ولكن لديّ شيء أريد أن أفعله.»

«سمعاً وطاعةً سيدي، رقم الغرفة ٨٣»

ذهب الحارس، واتّجه حمد إلى مكتب سمية، فدخل دون أن يطرق الباب، وكانت جالسة ممسكة بهاتفها تتصفحه، وحين رأته ابتسمت ونهضت ذاهبةً إلى الباب لتقفله:

«تفضل، اجلس»

جلس حمد.

«ماذا كان يريد الحارس؟»

أجاب حمد، وقد نفِدَ صبرُه: «لا تقلقي. إنّ عبد الله قد أصابته الحالة مرة أخرى»

جلست سمية، وقالت متذكّرة: «نعم، على ذكر عبد الله، لقد سمعت عن طبيبة نفسية جيدة في تخصصها، ولديها الكثير من الحالات التي تشابه حالة شقيقك، وقد تجد الحل المناسب له.»

عدّل حمد جلسته:

«حسناً، أكملي. أين هذه الطبيبة؟ وما اسمها؟»

ابتسمت سمية، وعرفت أن في داخل حمد اهتماماً بشقيقه، ولكنه

لا يظهره كثيراً، وأجابت:

«اسم الطبيبة داليا الغريب، وهي من سكان الكويت. سأكتب لك على ورقة مكان العيادة التي تعمل بها، وسأخبرها بحضورك مع شقيقك، والملاحظات التي سجّلتها بشأنه؛ لكي تتمكّن من دراسة حالته قبل حضوركما.»

# (٦)

راقت لحمد فكرة ذهاب عبد الله إلى تلك الطبيبة، وخاصةً أنّ لديه بعض الأعمال المهمة في الكويت، فتحدث مع والدته التي أعجبتها الفكرة من جهةٍ، والاهتمام الذي طرأ عليه فجأة بشقيقه من جهةٍ أخرى.

مضى يومان على دخول خلود المستشفى، وخرجت في اليوم الثالث، وقد خرج عبد الله قبلها بيوم واحد، ولم يتوقف عن معاتبة نفسه بشكل جنوني، وعندما أخبره حمد بفكرة الذهاب إلى الكويت رفض رفضاً قاطعاً؛ لأنه لا يريد السفر وحده بل يريد أن ترافقه خلود في سفره. حاول إفهامه أنّ خلودَ ليس لديها جواز سفر أو هوية وطنية، ولكنه رفض بشدة.

قرر حمد أن يستخدم واسطته في القطاع الحكومي؛ فالأمر ليس بتلك الصعوبة، وعندما يكون لديك المال يمكنك دفع الرشاوى بكل سهولة، وإنجاز كل أمورك بِيُسْرٍ وسرعةٍ كلمح البصر.

جلس عبد الله بجانب خلود التي ظلّت ثلاثة أيام تذرف دموعها حزناً على عائلتها، فتحدث محاولاً مواساتها وتخفيف وطأة الفاجعة التي حلّت بها: «أرغب في أن تأتي معي إلى الكويت.»

نظرت إليه بصدمة: «لا يمكنني الذهاب، وليس لدي رغبة.»

«ولكن لماذا؟!»

أجابته بغضب غير مسبوق:

«هل تسألني لماذا؟! لم أرَ جثث عائلتي بعد، وما زالت تحت الفحص، ولم يحظَ أهلي بدفن يليق بهم!!»

«ولكن هل تريدين البقاء هنا، وأنتِ تعرفين أنّك لن تري عائلتك؟

هل أتركك وحدك في هذه المصيبة؟ هل تعرفين لماذا أريد الذهاب إلى هناك؟»

زالت ملامح الغضب، وسألته بفضول:

«لماذا تريد أن تذهب؟»

«لأنّ شقيقي لأول مرة منذ فترة طويلة يبدي اهتمامه بي، ويريدني أن أذهب إلى الكويت؛ لأجل مقابلة طبيبة نفسية، رغم أنني أعرف أنها لن تفيدني بشيء، ولكنني أحببت مبادرته الطيّبة لأجلي، ويجب أن تعلمي أني لن أذهب إلّا عندما تذهبين معي.»

*****

بعد الحديث الذي جرى، أحضر حمد في اليوم التالي جميع الأوراق المهمة، وأخرج لها الهوية الوطنية والجواز، وربّما يسأل البعض بدهشة: كيف أخذوا صورة لها؟

بكل سهولة، اتّفق حمد مع أحد الاستوديوهات، وأتى به كله إلى منزله؛ لكي يلتقطوا الصور المناسبة لها.

ركبوا الطائرة الخاصة وكانت خلود خائفة جدّاً، ولكن عبد الله وعدها بأنّ الرحلة ستكون ممتعة، وظنّ أنّ صمتها قد يعني أنها تقبلت موت عائلتها، ولكنه لم يعلم أنّ الذكريات تحاصرها في كل طرفة عين، وكأنها تستحضر كل شيء من ماضيها، حتى إنها قد تذكرت الكلب والخراف التي كانت عندها، وطلبت من والدة عبد الله أن تكلّف راعياً للخراف بعد عودتها من الكويت...

وصلوا إلى الكويت بعد رحلة ليست طويلة بالطائرة، لم تشعر خلود بالوقت بسبب حديث عبد الله عن الأماكن التي سافر إليها والمواقف التي حدثت، كانت خلود تشعر بين الحين والآخر أنّ لدى عبد الله مشكلة نفسيّة، ففي بعض الأحيان تكون لديه مشكلة في الحديث، وفي أحيان أخرى يكون شابّاً متّزناً في حديثه، وكأنه رجل بالغ يفهم الاقتصاد والكتب والكتابة بشكل دقيق وعميق.

لقد سمعتْ مرة عن الانفصام، ولكن عبد الله بكل تأكيد بعيدٌ عن هذا، ولكنّ ما لم تعرفه أنه كان مصاباً بمرض التوحّد.

استقبلهم السائق الخاص بالعائلة، وحمل حقائبهم كلّها، ثمّ ركبوا السيارة، لكن حمداً لم يركب، وفتح الباب الخلفي قائلاً لهما:

«سأجعل السائق يقلكما إلى العيادة، وهي ستكون في استقبالكما، وبعد الانتهاء ستعودان إلى الفندق، وقد حجزت لكما جناحاً ملكيّاً.» ابتسم وأغلق الباب، ثمّ تحرك السائق بالسيارة متّجهاً إلى العيادة، لم يتحادثا طوال الطريق، شعر عبد الله أن الصمت وحده يعالج الأوقات العصيبة التي تواجهها حاليّاً.

بعد ربع ساعة، وصلوا إلى العيادة ودخلوا، كان الرواق طويلاً، وهناك الكثير من الغرف المخصصة للأطباء النفسيين، أوقفت الموظّفة التي تعمل في الاستقبال المراهقين اللذين دخلا دون حجز مسبق، ثمّ قابلتهما بابتسامة جميلة، وقالت:

«هل لديكما حجز؟»

أجابها عبد الله:

«نعم، لدى الطبيبة داليا الغريب.»

مشت الموظّفة أمامهما ولحقاها حتى وصلت قرب الباب

وتوقفت، كان اسم الطبيبة محفوراً على الباب:

«إنها هنا في انتظاركما.»

فتح عبد الله الباب ودخل، فاستقبلته بابتسامة بعثت في قلبه الطمأنينة، ومن الجهة الأخرى أمسكت الموظفة خلودَ وأشارت لها بالجلوس في الخارج حتى تنتهي الطبيبة من معاينة عبد الله ثم يحين دورها.

جلس عبد الله على الكرسي بعد أن رحبت به الطبيبة، وقد بدا الخجل واضحاً على مُحيّاه، وقال:

«السلام عليكم»

ردّت الطبيبة متبسّمةً:

«وعليكم السلام»

«ألن تدخل خلود إلى هنا؟»

قالها بتوتر، وهو يلتفت نحو الباب الذي أغلقته الموظّفة.

«بعد أن أستمع إليك، سوف أستمع إليها.»

«لا أعرف كيف أعتذر لها، وإنْ حاولت ذلك فأنا أشعر أنّي لم أعتذر بالشكل المناسب.»

«أخبرني منذ البداية.»

«أيّ بداية؟! عن الألم أم عن الرعب الذي أعيشه يوميّاً؟»

«أيّ بداية ترغب فيها، واسترسل بالكلام دون تفكير.»

«ولكنّني تعلمت ألّا أفكر في الحديث، والآن أشعر بشيء يمنعني من الحديث.»

«حسنًا، متى شعرت برغبة في الكلام فتحدّثْ.»

اقترب من الطبيبة، وقال بصوت خافت:

«الألم يمنعني.»

«عن أيّ ألم تتحدث؟»

«الألم الذي بداخلي، إنه يعيش معي، ويحضر معي في كل مكان.»

أضاف:

«لا أعلم كيف أصف حرباً تحدث بين دولتين، وأنا أكون في منتصفها، لا أعلم كيف أحمي نفسي، وكيف سأستعيد قوتي.

إنهم يحاولون السيطرة عليّ، ولكنّني أقاوم بكل ما أقدر خاصةً إذا كانت خلود بجانبي.»

«أهذا تعبير مجازي؟!»

«بل تجربة مررت بها في أسوأ وقت بحياتي.»

«اشرحها بالطريقة المناسبة.»

«لا يمكنك شرح الموت عندما يموت أحد أقربائك، فقط يمكنك وصف الحزن، لأن هذا ما شعرت به ولم تشعري بالموت، لقد أخذت الكثير من الوقت؛ لكي أستعيد نفسي.»

«أستطيع مساعدتك إذا سمحت لي.»

«كيف؟! لقد حاولت عائلتي ذلك جاهدة، لقد أتوا بأفضل الأطباء، وكل طبيب يؤكّد أنني مصاب بالتوحّد. لماذا؟ لأني أسرح كثيراً بعقلي، محاولاً إعادة دروعي وحماية نفسي من الألم، أنزعج كثيراً عندما أسمع صراخ من حولي، الصراخ نقطة ضعفي في هذا الوقت، والألم يحاول السيطرة على ضعفي.»

«ومن حدّدَ هذا التشخيص؟! لقد ظلمك؛ فما أراه ليس توحّداً.»

«الأسماء كثيرة وشهيرة، ولكنهم لا يستحقون تلك الشهادات المعلقة في عياداتهم. الظلم صار سهلاً كما صار الناس يقسمون لأجل أيّ شيء ولو كان كذباً.»

ثم أجابها عن آخر كلامٍ قالته:

«وما ترين أنتِ بي؟»

«التشتّت وعدم الثقة بنفسك قبل الآخرين.»

«مني أم من الألم؟»

«من الاثنين.»

«وما العلاج؟»

وبمجرد أن قال تلك الجملة، بدأ جسده بالانتفاض بشكل غريب، وأصبح يتعرق، وبعد ثوانٍ قليلة عاد إليه توازنه.

فكّرت الطبيبة في تلك الحالة التي جاءته فجأة، وفهمت الأمر، فقالت بصوت مسموع:

«فهمت ما يجري لك، وإذا سمحت لي فسوف أساعدك.»

«كيف كيف؟!»

قالها غاضباً، وهو يشعر بالألم الشديد الذي أتى من العدم.

«ما يحدث لي ليس طبيعيّاً، ولن يعالجه أيّ طبيب نفسيّ، أعلم ما تفعلونه؛ تريدون تلفيق أيّ مرض لي مثل أيّ طبيب لعين!»

ضرب الطاولة بقوة، وهو يلهث محاولاً مقاومة غضبه الذي خرج منه دون سيطرة.

قامت الطبيبة عن الكرسي واتجهت إليه، فجلست عند الكرسي

الذي أمامه، ثم مدّت يدها وأمسكت بيده، فأتت لذعة كهربائية مفاجئة، ولكن الطبيبة لم تهتز:

«لماذا أنت غاضب؟»

أبعد يد الطبيبة بسرعة، وهو يتلمس يده:

«أنا لست بغاضب، أنا بخير. لا شيء بي.»

«أفعالك تقول هذا، لقد أتيت لكي تتحدث، صحيح؟»

«فقط توقفوا عن تلفيق أمراض ليست بي!»

«لم أقل إنك مريض.»

«ولكن نظراتك...»

نظر إلى عينيها اللتين كانتا تشيران إلى شيء آخر، شيء لم يفهمه قط، ثمّ هدأ قليلاً.

«نظراتي ليس بها شيء»

أجابها: «إنني أفهم كل ما يدور حولي، ونظراتك تشرح الكثير، ولو حاولت تكذيبي.»

«كنت أنتظر أن تتحدث، ولم أقل شيئًا. هيا أخبرني لماذا تريد الاعتذار؟»

لم يتحدث عبد الله، فظل ساكتاً يريد الخروج فقط من هذا الجحيم، وبسبب الحرارة الشديدة التي شعر بها وهو في داخل هذه الغرفة اللعينة؛ كان في داخله شيء يدفعه إلى الخروج منها، ولكنّه في الوقت ذاته رأى أملاً ما في عيني تلك الطبيبة.

«عزيزي، لماذا لا تستلقي على الأريكة لكي ترتاح أكثر في الحديث؟»

«أنا لستُ بعزيز أحد!»

نظر إلى الباب، وكأنه يتخيل شخصاً ما واقفاً، وينظر إليه بابتسامة جميلة وبسيطة، فهدأ وهو يتخيل ذلك:

«حسناً، ولكنّ الشرط الوحيد أن تتركوا الخدع التي تستخدمونها؛ لإيهامنا بأشياء ليست موجودة أصلاً.»

ابتسمت وأجابته:

«حسنًا، كما تريد.»

نهض عبد الله، واستلقى على السرير بتوتر.

«أغمض عينيك حتى تشعر بالهدوء.» خرجت كلماتها الساحرة وكأنّ تردّداً خاصّاً استخدمته، لينصاع لها ويشعر بالهدوء الشديد...

أغمض عينيه، فشعر بتلك الثقة الغريبة التي انهالت عليه؛ لتخفي كلّ غضبه وتوتره، ثمّ تنفس الصعداء.

وضعت إصبعها عند رأسه وتمتمت بصوت خافت، ثم قالت:

«هيا أخبرني كل شيء منذ البداية.»

«لا أعلم البداية، أشعر أني مبهم غامض وكأنّ ألف بداية تنتظر دورها لحكايتها.»

أجابته الطبيبة: «لم أتحدث معك.»

شعر بذهول؛ كيف لم تتحدث معه، وهما فقط من بالغرفة؟

حاول عبد الله فتح عينيه؛ ليحاول فهم مع من تتحدث، ولكنه شعر بشيء ربطه، حاول التحدث ولم يتمكّن من ذلك.

تغيرت نبرة صوتها قليلاً، وأصبحت أكثر خشونة:

«أخبرني؛ لأني آمرك.»

وبدأ يسمع صوتاً من خلفه يسرد كل شيء، والذي أرعبه أنّ الصوت الذي سمعه كان صوته، فشعر بالصدمة التي لم يُصَبْ بمثلها قطّ.

قاطعت الطبيبة صدمته:

«حسناً، ارحل، افتح عينيك الآن يا عبد الله، وأخبرني بماذا تشعر.»

شهق شهقة قوية وكأنه استعاد روحه توّاً، نهض عن السرير وبدأ يلتف حول المكان بتوتر؛ ليبحث عن الشخص الذي كان يتكلم ويكشف لها كل شيء.

«من الذي كان يتحدث؟!»

لم تتحرك من مكانها قائلةً:

«اهدأ، إنه أنت.»

«أشعر، أشعر أنني بخير بشكل غريب.»

«هذا جيد!»

«هل أنتِ مشعوذة أم ماذا؟!»

ضحكت ضحكة خافتة وقالت:

«أنا! لا طبعاً، لماذا تقول هذا؟!»

«الصوت الذي خرج وأنا مستلقٍ كان صوتي، وأنا لم أكن أتحدث، فمن كان؟»

«أخبرتك.»

«أخبرتني بماذا! أرجوك لا تحاولي اختبار صبري؛ فأنا لا أحتمل أكثر من هذا.»

«إنه صوتك.»

«ولكن كيف؟! هل فعلتِ خدعة ما، وجعلتِ شخصاً غريباً مختبئاً يتحدث؟!»

«لماذا تقول كيف؟! إنه صوتك، وأنت سمعت ذلك بنفسك، وقد أذاع خفاياك التي لا يعلمها أحدٌ إلّا أنت.»

«حسناً، أنا أشعر بصدمة كبيرة، لا أصدّق ما سمعته، ولا أعرف من الذي يعلم أسراري.»

«هل ترى أحداً في الغرفة؟»

لم يجبها؛ فالصمت ساد المكان للحظات؛ ليمر شعور بالذهول من الحقيقة المريرة وإن لم يكن أحدٌ بالغرفة، ولكنه بدأ يقضم أظافره بشكل سريع، ورأت الطبيبة حالته وقالت:

«اهدأ. لماذا كل هذا التوتر؟!»

هدأ وكأنه رجل آليّ تلقّى أمراً من سيّده.

جلس على الأريكة، وهو ينظر إليها قائلاً:

«في داخلي عاصفة قويّةٌ تريد الظهور بأي شكل، ولكن مقاومتي لها تفشلها دائماً.»

«لقد ظهرت وانتهت. ألم تشعر؟»

«كك كيف؟! أنا أشعر بالهدوء، ولكن بقاياها في داخلي ولم تختفِ ولم تهدأ.»

نظرت إلى عينيه، وقالت كلمات لم تكن موجهة إليه:

«سوف تختفي قبل أن تذهب من هنا، ولن تشعر بها أبداً.»

عاد شعور الغضب بشكل مخيف وقال بحَشْرجةٍ:

«لا، لن يمكنك إخراجه من جسدي.»

ضحكت الطبيبة باستفزاز، وقالت:

«سوف ترى.»

«أرى ماذا! لن يمكنك فعل شيء؛ أنا سنيد هذا الجسد الضعيف ومالك حياته، أنا من وهبته اللحظات التعيسة من حياته، ولم أترك مثقال ذرة سعادة في قلبه، أنا اللعنة التي أصبتها، أنا خ...»

قاطعته، وقد نظرت إليه بثقة وتحدٍّ:

«وهل أنت واثق؟»

خرجت ضحكة قوية من فم عبد الله:

«بالتأكيد، أنتِ مجرد طبيبة، ولا يمكنك فعل شيء وإن حاولتِ محادثة صاحبه الضعيف، أنا بدّدْتُ هالته، وجعلت مناعته ضعيفة، وجنونه علامةً فارقةً. لا تظنّي أنّ فعل هذا الشيء قد يعطيك أفضلية عليّ.»

وقفت ورفعت كفها بوجهه؛ لتخرج تمتمة غير مفهومة بوجه صارم،

بدأت ملامح وجه عبد الله تتغير وتحمرّ، ورأسه يهتزّ بشكل مرعب، وصرخاته المكتومة تحاول التعبير عن نفسها.

استمرّت الطبيبة في التمتمة دون توقف، ولم تهتم لصرخاته، بدأت تخرج منه أصوات عديدة مختلطة تدلّ على ما تنطوي عليه نفس عبد الله، والألم الذي بداخله، وكانت كلمات متقطعة: «ت... ت... توقفي... أرجوك... إني أشعر بالألم... لا... ل... ن... أخرج من جسده!!!»

لم تجبه واستمرت في التمتمة، وزادت من قوة نبرة صوتها، طار جسده عن الأريكة لتبدأ الأغراض بالطيران معه.

لم تشعر الطبيبة بالخوف أو تتحرك من شدة رعب المشهد،

وظلت ثابتةً شامخة في مكانها تتمتم، وفجأة سقط عبد الله على الأرض مغشياً عليه.

خرجت قطة بيضاء من العدم، عيناها سوداوان، وعليها خطوط سوداء، وأخذت تزمجر بغضب، وكان صوت الزمجرة شديد القوة، ثم اختفت وكأنها تبخّرت.

ركضت الطبيبة إليه قائلةً:

«عبد الله، هل أنت بخير؟»

شعر بألف طعنة تلقاها جسده، والألم لم يتوقف، بدأ يصرخ بقوة ويتقلّب في المكان بشكل مرعب.

«انتظر. لديّ شيء سوف يريحك.»

ازدادت صرخاته قوة، وراح يتقلب من شدة الألم.

عند المكتب فتحت الطبيبة الدرج، وأخرجت منه زجاجة صغيرة فيها سائل شفاف، ووضعت قطرتين منه في كأس ماء، ثم ذهبت نحو عبد الله ورفعت يدها، وتمتمت بكلمات غير مفهومة؛ ليثبت جسده على الأرض ويتوقف عن التقلب، وما أن شرب الماء حتى سقط على الأرض مغمىً عليه.

# لفصل العاشر

بعد يومين...

«لقد عدت!»

ضحك المحقق إبراهيم، وكانت تحت عينه ندبةٌ قديمةٌ، مجيباً محمداً:

«لو أخبرتك لماذا كانوا يريدونني لاستغربتَ سخافة ذلك الأمر.»

نهض محمد عن الكرسي الخاص بإبراهيم، وقال:

«إذاً، لا تخبرني. اجلس هنا وأكمل تحقيقك، لم أتمكّن من فعل شيء مهم.»

جلس على الكرسي الذي بجانب الطاولة، وجلس إبراهيم على كرسيه ونظر إلى الملفات التي أمامه، ليقول بتوجّس:

«الملفات كثيرة، والحقيقة واحدة.»

ابتسم محمد بشفقة:

«وهل قرر المحقق إبراهيم الانسحاب من القضية التي جاهد للحصول عليها؟»

«أنا لا أنسحب يا صديقي، أنا هنا لأنني وجدت خيطاً يوصلنا

إلى المجرم، ولكن ما أريده هو فقط الاعتراف منه؛ لأنّ حدسي لن يخذلني، ولم يخذلني قط!»

قال محمد باستغراب: «وحدسك يصيب من؟!»

«ستعرف قريباً يا صديقي.»

نهض المحقق إبراهيم عن كرسيه، وخرج من القسم عائداً إلى منزله؛ لتستقبله زوجته مندهشة من الخدش الذي ظهر على خده ممتدّاً إلى فمه:

«الجرح كبير، ولكن جمالك أكبر!»

ابتسم إبراهيم وقبّل خد زوجته وجلس على أريكته؛ ليهجم أطفاله عليه بمحبّةٍ وسرورٍ وحماسٍ، فكانت يُسر تحمل مخدة صغيرة وتضرب رأس والدها بها، وركض خالد فعضّ ساق والده ممازحاً عضّةً قويّةً، ومن الخلف كانت الزوجة تشجع أبناءها:

«أحسنتم يا أطفالي!» ورفعت يدها بحماس، ثمّ دخلت بعدها إلى المطبخ، وصرخات أطفالها لم تتوقف، وضحكات زوجها تتعالى، أعدت العشاء، وقلبها مطمئنٌّ مسرورٌ بعودة زوجها سالماً إلى المنزل، لطالما شعرت بالأمان عند وجوده، وهذا بالتأكيد يسري على الجميع، فعندما يكون الأب موجوداً بالمنزل، يعم السلام والأمان،

والعكس صحيحٌ، إذا لم يكن في البلاد ملك يفرض القانون والنظام بالقوة والعدل، فسيضع كلٌّ قوانينه الخاصة؛ ليجعلها تسري على الجميع، وإن لم تسرِ فسيفسد الباقي.

تلك هي طبيعة النفس البشرية.

وضعت الأطباق على الأرض ودعت زوجها للجلوس ليأكل، وهي تدعو بقلبها أن يعجبه الأكل، وحين وضع في فمه أول لقمة، تغيرت ملامح وجهه وابتسم قائلاً:

«لا داعي لتلك النظرات؛ فكل ما تعدّينه جميل مثل جمالك.»

ضحكت الزوجة بخفة، ثم نظرت إلى طفلتها يُسر التي تذوقت الأكل وحرقتها حرارته وبدأت تبكي بشدة، ضحك إبراهيم فتجهّمت زوجته، وقالت:

«لماذا تضحك هكذا؟!»

«أضحك؛ لأنّ يسر سيكون لديها قائمة طويلة، لتضيف إليها الأشياء التي ستتعلمها وحدها.»

احتضنت الأم طفلتها بشدة، وهي تضحك دون أن تصدر صوتاً...

# (١)

دخل إبراهيم إلى مكتبه وبدأ يبحث في ملفات جرائم سابقة حدثت منذ فترة ليست طويلة، والمجرم فيها لم يكتشف، وبدأ يتذكّر.

«جريمة قتل امرأة كبيرة السن وبجانبها طفل صغير، وكانت إصبعها مفقودة، وعين الطفل مسروقة.»

«بلاغ عن فتاة هاربة، وبعد فترة عُثِر عليها في بئر مختنقة وفاقدة عذريتها.»

«وجريمة أخرى ضحيّتها طفلة صغيرة لم يتجاوز عمرها ١٢ سنة، تم تقطيع جسدها وتوزيع القطع على عدة مناطق، وقد كانت بعض الأعضاء مفقودة، مثل: العينين وبعض الأعضاء الحساسة.»

( ٢ )

أصبح العالم صغيراً لدى الأشخاص الذين يتمتّعون بالوعي والفهم والإدراك، أمّا المجانين فقد أصبحوا أكثر مما سبق، وصار الجرم متداولاً بين الجميع، والصلح ادّعاءً للشرف في المجتمع، وإن سرتَ في التيار مع هؤلاء قالوا إنّك غبي، وإن قاومتهم قالوا إنك مجنون أو ملعون أو أحمق أو إنسان لا يفقه شيئاً ويظن أنه يفهم كل شيء.

اعلم أنّه يجب أن ترضي نفسك قبل أن ترضي الآخرين؛ لأنّ هذا الأمر سيصبح نقمة عليك مع السنين القادمة إن قدّمتَ الآخرين على نفسك.

## (٣)

في تلك الأيام التي كان بعيداً فيها عن عائلته، حمد الله أنّ كل ما يرونه في الأفلام يُصنّف خيالاً لا يقبل التصديق؛ لأنّ ما رآه في الرياض جعله شخصاً آخر، شخصاً يدرك أنّ ما نراه حقيقة وليس كذبة!

نهض إبراهيم من السرير، والأرق لم يفارقه، خرج صوت مزعج من السرير، أنهض زوجته من نومها، فسألته بصوت خافت:

«عزيزي، إلى أين أنت ذاهب؟»

لم يتحدث وخرج متّجهاً إلى الحمام ليغتسل، بدأت قطرات الماء تنصبّ عليه، وكان يستشعر في كل قطرة صرخةً خارجةً من أفواه الأبرياء الذين يستنجدون به ويطلبون مساعدته عند التحقيق في الجرائم الواقعة على أحد أقربائهم، ومن ناحية أخرى استعاد ذكرى ليست قديمة غيّرت حياته تغييراً جذريّاً، وقلبتها رأساً على عقب.

زوجته تعلم الحالة التي تصيبه بين فترة وأخرى، فينهض من الفراش، ثم يذهب إلى الحمام، فتجهِّز له ملابس نظيفة مناسبة يرتديها حين يخرج من الحمام.

ذهب إلى مكتبه، فجلس على الكرسي وأمسك بالملف الذي أعاد قراءته كثيراً حتى حفظ كل تفاصيل الجريمة، ومثل تلك العادة تجعله يتخيل الجريمة وطريقة القتل، ولكن ما لم يتخيله هو وجوه المجرمين!

نعم، مجرمون وليس مجرماً واحداً؛ فالأدلة الجنائية جمعت أنواعاً عديدة من الأحذية في المكان، بعضها لرجال وبعضها الآخر لنساء!

يخذلنا الأشخاص المقرّبون منّا أحياناً، فيخيب أملنا حين ندرك انخفاض مكانتنا عندهم، فلا يهتمون ولا يسألون إلّا بدافع المصلحة.

مثل هذه المواقف يجب أن تجعلنا حريصين جدّاً عند اختيارنا لأصدقائنا، لا تكبّراً بل حرصاً على صداقات حقيقيّة وثيقة.

عندما يكون لديك خيط يقودك إلى كشف الجريمة، فلا تظنّ مستعجلاً أنك وجدت المجرم؛ لأنك ستجد مع الوقت العديد من الخيوط المتناثرة والتي كانت مستورةً أو خافيةً عليك.

نهض عن كرسيه، ثمّ ذهب إلى المطبخ وأعد لنفسه الإفطار وكوباً من القهوة؛ لم يكن إبراهيم راغباً في القهوة بل عاشقاً مغرماً بها، فقد كان من ذلك النوع الذي ينتقد شيئاً ما، ثم يبتليه الله به

عندما لا يعجبك شيء ما اصمت ولا تتحدث عنه.

ليصبح صديقه المفضّل فيما بعد. إنها أشبه بلعنة تصيب الجميع؛ لذا

وضع الإفطار في حافظة الطعام المخصصة له، وأمسك بفنجان

القهوة باليد الأخرى، ثم خرج من شقته وأنزل جميع ما في يده إلى

السيارة وشغّل المحرك، ثم عاد ليأخذ بعض الأشياء من مكتبه

وأقفل الباب قبل خروجه، وعاد بعدها إلى سيارته ليدخل في دوامة

تفكير، وهو يشرب القهوة.

«الجريمة مكشوفة، ولكن الدليل منقوص.»

«فكر يا إبراهيم جيّداً، كيف تمسك بالخيط إذا كان القانون يحمي ذلك الخيط؟»

«الفساد في داخلنا، ولكن ليس هناك أفسد من محقق لديه قضية، والمجرم يعيث في الأرض فساداً!»

وضع الفنجان في المكان المخصص له، وشغّل محرك السيارة متّجهاً إلى قسم الشرطة، إلى قسم الفساد، إلى اللعنة الملعونة! إلى ذلك المكان الخالي من الحياة؛ لفساد وقسوة قلوب من فيه.

# ( ٤ )

أخرج سلسلة من المفاتيح وأمسك بمفتاح مكتبه، وكان خلفه محمد، وقد استيقظ من نومه توّاً، وكان يطلق السباب في نفسه على إبراهيم؛ لأنه يعرف ما سوف يستقبله من الحديث، جلس إبراهيم على كرسيه، ووضع حافظة الأكل فوق الطاولة، ورمى كوب القهوة في سلة المهملات بعد أن رشف آخر رشفة منه، ونظر إلى محمد مبتسماً:

«بعد تفكير طويل، لقد عرفت أن الحياة ليس فيها أبرياء؛ فجميعنا مذنبون بطريقة أو بأخرى لا نعرفها، ولن نتدارك أفعالنا أو نفهمها بسرعة؛ لأنّنا لا نحسب أخطاءنا ولا نعدّها ولا نعترف بها، ولكن ما لم نعرفه أنّ كل خطأ نرتكبه نسجّل به نقطةً في داخلنا تخلق شيطاناً خارج القانون، وعندما لا يحاسبك أحدٌ على أفعالك، تبحث عمّن يحاسبك؛ لكي تشعر بتلك اللذة الغريبة التي يتنافس بها الشياطين!»

زفرَ محمد هذه المرّة بصوت مرتفع قائلاً:

«اللعنة عليك يا إبراهيم! لقد بدأت أكره العمل بسببك، وبسبب الحياة التي تلقّنني دروساً فيها بشكل يومي. أنا لا أطيق

الجلوس بجانبك؛ بسبب الفلسفة التي تخرج من لسانك اللعين، يجب أن تتوقف عن تلقيني تلك الدروس، أرجوك فقط توقف، أترجاك توقف.»

ضحك إبراهيم بشدة، وأجابه بخبث:

«أتعلم أني أخرجت كلّ ما في قلبك؟! هذه هي الحياة يا صديقي، عندما تجد شيئاً تفرغ به غضبك، تتنفّس بكل راحة.»

كاد محمد أن ينهض عن كرسيه ويخرج، ولكنِ إبراهيم استوقفه بجملة قائلاً:

«المجرم لقد عرفته، ولكنني أنتظر عودته من السفر!»

التفت محمد إليه، وقد تلاشى غضبه، وقال:

«ومن المجرم؟!»

«المتصل!»

صُدم محمد من رده: «هل تشكّ في حمد؟!»

«أنا لا أشك، أنا واثق.»

«ولكن لماذا لا تختصر على نفسك الطريق وتتصل بالسلطات؛ لكي تقبض على حمد عندما يعود من سفرته؟»

«أتظن أنّ الكلاب لا تتعلم من أخطائها؟

انظر يا صديقي؛ حمد ووالده لديهما الكثير من العلاقات (الواسطة)، ولن نفعل شيئاً عندما نمسكه في المطار؛ لأنه سيخرج منها كما تخرج الشعرة من العجين بكل سهولة، ولكننا عندما نصطاده على أنّه منفّذ جريمة تافهة، ويتم التحقيق في أمر الجريمة وتتقاطع البصمات، عندئذٍ تنتج لنا جريمة متكاملة.»

«توقف، هل شبهت نفسك بالكلاب؟!»

ضحك ضحكة مكتومة، ثم أكمل: «أنا لا أوافقك الرأي، هل لديك بصمات تخص حمداً على الجثث؟»

مد إبراهيم يده إلى الرف الأخير من طاولته ففتحه بمفتاح، ثم أخرج ملفّاً أخضر، في داخله كيس شفاف وبه بعض المعلومات:

«إذا لم تجد ممرّاً مسدوداً، فسدَّ كلّ الطرق لكي تمرّ من خلالها.»

«أنا لا أفهمك، أنت متغير جدّاً، هل أنت بخير؟ هل حظيت ببعض الراحة؟»

«لا راحة للمحقق إلّا عندما يحل قضيته، يجب أن تفكر كالمجرم لكي تمسك بمجرم، لقد قرأت مرةً عن فلسفة المجرمين.»

صرخ محمد، وقد نفد صبره:

«توقف توقف يا إبراهيم، أوقف كل شيء تفعله، أنا لا أنصحك أن تكمل هذا الطريق، بل أنصحك أن تترك هذه القضية. اجعل السمين الأحمق أحمد يستلم هذه القضية وسيخسرها من أول يوم، أو سلمها إلى العجوز ضاري الذي سيستقيل قريباً، اجعلها نقطة فشل تُحسَب عليه؛ فهو لم ينجز شيئاً في آخر فترة قضاها.»

«هل نسيت مديحك لي؟ أنا لن أتوقف عن البحث عن زلّة واحدة لحمد لكي أمسكه وأسجنه، ومثل هذا الشخص ليس صعباً أن تجد شيئاً عليه يُدينه، وما هي إلّا فترة بسيطة ليكون في الزنزانة يبكي ويتوسّل لوالده لكي يخرجه.»

«القائد لن يجعلك تكمل هذا التحقيق عندما يعلم إلى أين توصّلت.»

ضحك إبراهيم وقال: «أي قائد تقصد؟»

اقترب محمد منه وقال: «أنت تعرفه، وتعرف أنّ الشياطين يحضرون عندما تذكرهم!»

«لن يبقى شيطان واحد في هذا القسم، اخرج وانظر كم شخصاً تبقّى في القسم.»

قالها بثقة كبيرة جعلت قلب محمد يرتجف من كلامه، نهض بسرعة وفتح الباب، فرأى نصف رجال الأمن يحملون أمتعتهم، ورُتَبُهم وإشاراتهم وأسلحتهم قد أُخِذتْ منهم، ومن هؤلاء رئيس القسم ورئيس القسم السابق.

تقدم رجل ضخم، عريض المنكبين نحو محمد وقال:

«هل أنت مساعد إبراهيم؟»

قال بتوتر من هيبة صوت الرجل:

«نعم نعم، يا سيدي.»

نظر محمد إلى الإشارات التي في بدلته، وفهم أنه الرئيس ليقدّم له التحية العسكرية، ثم سمع صوتاً من خلفه، وكان صوت إبراهيم:

«أصبحت الحياة تحتاج إلى رقيب يراقب الرقيب، وشخص متجهم لا يرحم؛ لكي يسير الجميع على الصراط المستقيم»

ثم ضرب عدّة مرّات كتف محمد الذي تعرّق جسده، وشعر أنّ دمه قد جفّ في عروقه خوفاً، وقال في نفسه:

«هل طرده؟»

«هل هو من تسبب في طرد نصف رجال الأمن من القسم؟»

«ما الذي ينوي عليه هذا اللعين؟!»

# الفصل الحادي عشر

## (١)

«هل هو بخير؟»

قالت خلود، وهي تنظر إلى الباب المغلق بعد أن شعر قلبها بالخطر داخل عيادة الطبيبة، وكانت في تلك الفترة تحاول فتح الباب ولكنه كان مقفلاً، ثمّ ذهبت إلى موظّفة الاستقبال، ولم تجدها وكأنها تبخّرت.

لم تسمع صوتاً في الداخل، ولكن شعوراً بالخطر أصابها، وكأنها أم تستشعر الخطر قبل أن يصيبَ ابنها الوحيد، ضربت الباب كثيراً حتى فتح، ودخلت بسرعة لترى عبد الله واقفاً، والطبيبة جالسة على كرسيها، تبتسم لخلود التي قالت بخوف: «هل هوَ بخير؟؟»

فأومأت برأسها وقالت:

«يمكنك سؤاله.»

نظرت إلى عبد الله ولم تسأله، فالتفت إليها والتقت أعينهما، وعم الصمت داخل غرفة الطبيبة، لكن الطبيبة قاطعتهما عندما صفقت بيديها وخرج صوت عالٍ، فخرج من الغرفة تاركاً خلفه خلود التي نظرت خلفها، ورأت الطبيبة تمد يدها لتشيرَ إليها بالذهاب وراءه،

ركضت خلفه ولكنها لم تجده، نظرت إلى باب الخروج ورأته يُغلَق، ففهمت أنه خرج ولم ينتظرها، ركضت نحو الباب ودفعته لتخرج، ثمّ نظرت إلى الأمام وهي تظنّ أنها ستراه، ولكنها لم تجده، تقدمت ورأت الخادم مستغرباً وقال لها:

«هل السيد عبد الله بخير؟ لقد رأيته يخرج، وناديته لكي يركب، ولكنه ذهب بعيداً.»

«أين ذهب؟ في أي اتجاه؟»

أشار الخادم إلى الاتجاه الذي سلكه عبد الله، فركضت مسرعةً خوفاً من أن يحدث له شيء، وبعد تقدمها وجدت رواقاً مظلماً وسمعت صوت حركة، تقدمت نحوه وكانت تعتقد أنه هناك، ولكنها فوجئت بخروج قطة سوداء من القمامة، فهربت إلى الشارع العامّ وتخطته بسرعة، تسارعت دقات قلبها وشعرت أن عبد الله لم يكن هنا، ولكنّ رائحة العطر التي تميزه منتشرة في المكان، لم تتعب نفسها في البحث، وقررت العودة إلى الخادم.

وجدته ينتظرها، تقدم نحوها وانحنى قائلاً:

«هل وجدتِه يا سيدتي؟»

هزت رأسها نافيةً، والتفتت نحو بوابة العيادة، فصُدمت بخروج

عبد الله منها، اتجه الخادم إليه وقال له بصوت خائف:

«سيدي، أين كنت؟! لقد رأيتك تخرج من هنا، كيف كيف؟!»

بدأ عبد الله يحك ذقنه، وقال بتوتر:

«لا، أنا كنت ضائعاً، ولم أخرج من العيادة، وذهبت في جهة أخرى، ثم عدت إلى الطبيبة التي أرشدتني من أجل الخروج.»

أبعد عينيه عن الخادم، ونظر إلى خلود التي كانت تراقبه من بعيد، وقد سالت قطرات العرق على وجهها، فذهب وأمسك بيدها وجعلها تركب السيارة، وهو ركب بجانبها.

ركض الحارس إلى باب السائق وفتحه، ثم انحنى بتوتر وركب السيارة، ولكنّ رأسه اصطدم بجانب السيارة، لم يبدِ ردة فعل وأغلق الباب، ثم سأل عبد الله: «إلى أي...؟»

لم يتركه عبد الله يكمل سؤاله، وقال له وهو ينظر إلى عيني خلود:

«إلى الفندق.»

# (٢)

انتهت رحلتهم في الكويت، والتي لم يحدث فيها شيء يستحق الذكر، ثمّ عادوا إلى الأحساء وكانت في استقبالهم في المطار والدة عبد الله التي احتضنت خلود قبل ابنها قائلةً لها:

«لقد اشتقت إليك أكثر من ابني.»

نظرت إلى ابنها وابتسمت له، ثم بدأت بتحريك خصلة من شعره وبعدها احتضنته، فرحت الأمّ بأنّ عبد الله لم يحاول أن يبعدها مثل كل مرة، ولاحظت أن هزة رأسه قد توقفت، وأنّ وجهه مشرق كثيراً، أمسكت بيد ابنها وبيد خلود، ومشت في المطار إلى بوابة الخروج، وهي تسألهما:

«أخبراني ماذا فعلتما هناك في الكويت.»

نظرت إلى خلود وقالت: «هل استمتعتِ؟»

أومأت برأسها وقالت: «نعم، هذه أول مرة أركب فيها طائرة، وكانت تجربة مرعبة!»

قال عبد الله: «ستعتادين قريباً ركوب الطائرة.»

التفتت والدته نحوه بسرعة مصدومة مندهشةً؛ لأنّ ابنها قال جملة كاملةً، فهي لم تسمع عبد الله يتكلم بطلاقة سابقاً.

ركبوا السيارة، وقررت الأم أن تتحدّث مع خلود في الموضوع الذي أراده ابنها:

«خلود، أنتِ تعرفين كيف أصبحتِ قريبة من ابني، وهو قريب منك، وأنا بكل أمانة لا أريد أن أترك نجمة تهرب مني قبل أن أجعلها تصبح أقرب من القمر.»

لم تفهم خلود مقصد الأم، ولكنها لم تقاطعها:

«في أول يوم وجدت ابني في المستشفى، كان ينظر إليك بكل حب وإعجاب، وطلب إليّ شيئاً لم أقدر على رفضه بعد أن رأيتك.»

«يا خالة، أنا لا أفهمك، ادخلي في صلب الموضوع.»

ابتسمت والدة عبد الله، وقالت لها باختصار شديد:

«أريدك أن تكوني زوجة لابني عبد الله، ولديك يومان للتفكير في هذا الموضوع. هل اتفقنا؟»

نظرت خلود إليها بتوتر شديد، وبدأ بطنها يتقلّص ويؤلمها، وضعت يديها عند بطنها ورأت في الأسفل دماء تخرج منها، وشعرت بحرجٍ شديدٍ ولم تتكلم.

شاهدت الأم المنظر وغطّت خلودَ، ثمّ طلبت إلى السائق أن يسرع إلى المنزل، وفي اللحظة نفسها هاتفت ابنتها عبر الرسالة النصية:

«جود»

لم تجبها في بداية الأمر.

«جود، أجيبيني بسرعة!»

«نعم، أمي ماذا تريدين؟»

«هل لديك فوطة صحية في حمامك؟»

«نعم، لماذا؟!»

«أعطي أقرب خادمة لك واحدة، واجعليها تضعها في غرفة خلود.»

«هههههه! هل البدوية بشرية مثلنا؟!»

«اتركي تلك السخافات لكيلا أخبر شقيقك حمد، فيجعلك تندمين!!»

«حسناً حسناً.»

تركت هاتفها ورأت أنها أمام البوابة تنتظر أن تُفتح، وخلود

تشد على بطنها، وعبد الله يتحدث، وهما لا تستمعان إليه ولم يلاحظ ذلك، فتحت البوابة ودخل السائق وركن السيارة قرب باب المنزل، ثمّ نزلت خلود وخلفها الأم التي أمسكت بيدها ووضعتها عند ظهرها، وبدأت بالصعود إلى غرفتها بخطاً بطيئةٍ.

# (٣)

راحت خلود تتقلب في فراشها منتصف الليل، وكان كلّ تفكيرها يدور حول هذه الليلة التي أحرجتها كثيراً ولن تنساها طيلة حياتها، فكانت مصدومة بأنّ الدورة الشهرية قد تقدمت يوماً عن موعدها الطبيعيّ، ولكنّ التوتر كما يبدو قد جعلها تتقدّم وتأتي قبل وقتها، فتحت عينيها وتأمّلت سقف غرفتها، فرأت شيئاً أثار استغرابها؛ إذ كان فيه ضوء أحمر، أمعنت النظر وأدركت أنه حرف، ولكنها لا تعرف معناه، أصابها ذلك الشعور الغريب الذي يأتي إليها كل مرة حين تكون في هذا المنزل، وبالتحديد في غرفتها وهو الشعور بالعطش الشديد!

تمنت في داخلها ألّا يتكرر ما حدث لها في تلك الليلة وألّا يحدث الآن، نهضت متعبةً ومشت إلى الطاولة التي عليها علب الماء وفتحت واحدة وشربتها بظمأ شديد، وفتحت الثانية فالثالثة، ثم نظرت إلى السقف ورأت الضوء قد صار شديد الخفوت، والحرف قد اختفى تقريباً، أصابها شعور غريب أنها يجب أن تشرب ماء أكثر، وبالفعل بدأت بالشرب واستهلكت نصف علب الماء الموجودة في غرفتها، جلست على طرف سريرها، وبعد ثوانٍ قليلة، سمعت

طرقاً قويّاً على باب غرفتها، أفزعها وجعلها تنهض من مكانها دون تفكير، وتفتح الباب لترى جود واقفة تنظر إليها بعينين تشتعلان غضباً، ثمّ دخلت الغرفة ونظرت إلى السقف وقالت بغضب:

«كيف أمكنك إبعاد أتباعي؟!»

أجابتها خلود بتوتر، ويدها تهتز بشكل مريب:

«جود، أنا لا أفهم عمّ تتحدثين!»

التفتت جود إلى خلود الخائفة، وقالت لها:

«أأنتِ مشعوذة؟!»

«أأأ... أأنا؟! لا، بالتأكيد، أنا لست بساحرة أو مشعوذة، وليس لي أي صلة بتلك الموضوعات!»

رأت جود يد خلود التي تهتز بشدة، وفهمت ما يجري وابتسمت بخبث، ثمّ تقدمت إلى الباب وخرجت من غرفة خلود دون أن تودعها، تجمّدت خلود في مكانها لا تعرف ماذا تفعل؛ فهي لا تعرف طريقة للتواصل مع عبد الله لتخبره بما يجري، ولا تريد أن تلتقيه في اليومين القادمين، وقد كان هذا طلباً من والدته، سمعت صوت خطوات قادمة، صوت أقدامٍ شديدَ القوة، بدأت تنظر إلى الباب مترقّبةً من سيأتي؛ لتعرف ذلك الشخص الذي أرعبتها خطواته

الثقيلة كثيراً، بعد ثوانٍ من الرعب والترقب، توقفت الخادمة سدني أمام غرفة خلود مستغربة، وسألت الخادمة خلودَ التي وقفت تنظر إليها، والخوف بادٍ على ملامح وجهها:

«سيدتي، أأنتِ بخير؟»

«أنا لا أشعر أنني بخير، هل أنا بالفعل بخير؟! كيف أجيبك عن شيء أنا لا أعرفه؟! هدوء المنزل مرعب، وسماع صوت خطوات يلقي الرعب في القلب، وطرقات الباب القوية التي تجعل حلقك يجفّ بشكل غريب! أنا لا أعرف هل أنا بخير؟!»

تقدمت الخادمة وأمسكت بكتف خلود، وأخذتها إلى السرير وقالت لها:

«سيدتي، أنتِ بخير. لا تقلقي؛ لقد كنت أمر بفترة مثلك عندما انتقلت للعمل هنا، وواجهت لحظات مرعبة.»

«ولكن أين عبد الله؟! لماذا عندما نحتاج إلى شخص ما في لحظات صعبة نُحرَم منه أو نجد حاجزاً يحول بيننا؟! هل تريد الحياة تلقيننا درساً ما؟»

مدّت خلود رجليها على السرير، وسحبت الخادمة اللحاف ووضعته على كامل جسدها وتركته عند كتفها.

«حانت ساعة النوم.»

قالت الخادمة بصوت خافت؛ لتخلد إلى النوم بشكل سحري، وتنهض على صوتها:

«وحان وقت الاستيقاظ»

فتحت عينيها متأمّلةً سقف الغرفة، ونهضت بسرعة، نظرت بجانبها ولم ترَ سدني، فكان صوتها يتردّد في عقلها: «حان وقت الاستيقاظ».

أبعدت اللحاف ونهضت من السرير، كانت أشعة الشمس تدخل إلى غرفتها، فأعطتها بعض الحيوية لترتيب سريرها بعد أن انتهت من كل أعمالها اليومية، ومن تنظيف غرفتها.

جلست على طرف السرير تفكر فيما حدث ليلة أمس، ولكنّ دخول سدني قطع تفكيرها، وهي تحمل الأكل في صحن متوسط الحجم، وضعته على الطاولة، ثم توقفت أمامها قائلةً:

«صباح الخير سيدتي، لقد أعددت لك الإفطار بطلب من السيد عبد الله، وقال لي إنه يريدك أن تجرّبي أكلاته المفضلة التي أعدّها له.»

نهضت خلود، والابتسامة لم تفارق وجهها، ودقات قلبها تتسارع ممتلئةً بالحب والشوق، بدأت سدني تعرّفها بأصناف الأطباق،

وأشارت إلى طبق وقالت: «أوصتني السيدة جود بعمل هذا الطبق لك، ولا أخفي عليك أنّ الوصفة غريبة، ولكنني أعددته، وقد طلبت إليّ أن أضع القليل لك، والقليل لها.»

تساءلت خلود مستغربةً:

«لقد لاحظت أفعالاً غريبة من جود في منتصف الليل، ولا أعلم ماذا تريد!»

«لا تقلقي، أنا اعتدت الأشياء التي تفعلها، وأنتِ ستعتادين قريباً، لذا لا تحملي همّاً.»

نظرت الخادمة إلى شاشة غرفتها التي لم تشتغل قط، وضغطت زرّاً فبدأت الشاشة تعمل، وكانت القناةُ إخباريّةً، أخرجت جهاز ريموت ووضعته على سرير خلود، وقالت لها:

«هذا ريموت التحكم إذا أردتِ أن تشاهدي ما يسلّيك ويملأ الوقتَ.»

خرجت الخادمة، وأغلقت الباب خلفها...

# الفصل الثاني عشر

## (١)

غرفة عبد الله حيث الهدوء والترتيب هو الشيء الجميل الذي يميّزها، ولكن هذا لم يكتمل بسبب دورانه في الغرفة بشكل غير معتاد في منتصف الليل، بعد أن رأى شقيقته جود تضرب باب غرفة خلود، وقد كان يراقب غرفتها منتظراً خروجها؛ ليراها ويروي شوقه الذي اجتاحه بشكل مفاجئ، وبعد أن دخلت كان يريد الدخول وراءها، ولكنه وعد والدته ألّا يلتقيها في اليومين القادمين، لم تطل فترة جلوس جود في غرفة خلود وخرجت، وشعرها يتطاير، شعر عبد الله بالرعب من المنظر وخاصةً حين سمعها تتحدث وحدها، وهو خلفها:

«أريد أن أعرف كيف حرقت الشيطان الموكل بمراقبة غرفتها!»

اختبأ خلف الحائط، وصوتها العالي يمكن سماعه من بعيد، ولكنه فوجئ بشيء غريب!

«من تقصد؟ هو الآن يستمع إليّ! لا تقلق؛ إنه مجرد مجنون، كان أول تجربة لي» ثم ضحكت بخبث...

توقف فجأة وقرر الذهاب إلى غرفته، ولم يفكر في الخطر القادم إليه من الشيء الذي سيحدث له بعد قليل!

أمسك بمقبض باب غرفته بقوة وفتحه، وذهب إلى السلالم صاعداً بسرعة إلى الدور العلوي الذي فيه غرفة جود، وكانت الجملة التي تتردّد في ذهنه «كان أول تجربة لي!»

وصل أمام غرفة شقيقته، ولم يطرق الباب بل فتحه بقوة ودخل حابساً أنفاسه؛ ليرى منظراً شديد الرعب، فقد كانت الغرفة ممتلئة باللون الأحمر، وفي السقف وعلى الجدران الكثير من الحروف الغريبة، ذهب بحذر إلى سريرها ورأى جسدها في السرير، أمسك باللحاف وسحبه فكان السرير فارغاً!

سمع صوت همسات خارجة من دورة المياه، فاتجه إليها ووضع أذنه مستمعاً إلى صوت شقيقته تطلق كلمات غريبة لم يفهمها، أمسك بمقبض الباب، ولكنه تركه بسرعة بعد أن حرقه بسبب حرارته الشديدة، ثمّ عاد إلى السرير، والغضب يضطرم بداخله، أمسك باللحاف وأخذه معه ليفتح الباب دون أن تحرقه حرارته، فرأى أمامه جثث قطط كثيرة، ودماءً تسيل من حوضها، أثارت استغرابه المرآة التي لا تعكس الصورة، بل كانت أشبه ببوابة، نظر بداخلها فشاهد امرأة شعرها أبيض تطير من مكانها، وشاهد بجانبها الأجساد العملاقة والصغيرة والقرون الممتدة من رؤوسهم، تنفس

عبد الله بقوة، فاشتمّ الرائحة الكريهة التي كادت تخنقه وتجعله يتقيّأ، ولكنه خرج من الحمام بسرعة، وفي منتصف طريقه سقط على الأرض وأطلق صرخة خفيفة، توقفت الهمسات، وأوشكت دقات قلب عبد الله أن تتوقّف، لكنه استجمع قواه ليهرب من هذا المكان المرعب بأقصى سرعته، نهض من مكانه، والدماء ملأت يديه وملابسه، خرج من الحمام ونظر إلى الخلف ورأى شقيقته تخرج من المرآة، وهي تتحرك بيديها ورجليها، أرعبه شكلها؛ فقد كان شعرها الأبيض يغطّي ملامح وجهها، وبعض الدماء على شعرها، خرجت من الحمام بسرعة، توقفت تنظر إلى شقيقها، وهي تلهث مثل الكلاب، بدأت الغرفة تصبح أشد حرارة، وشعر عبد الله بالاختناق، نظر خلفه وركض إلى الباب، لكنه أُغلق تلقائيّاً بسرعة، نظر إلى شقيقته ورآها تنزل يدها، وبدأت تركض بسرعة عالية نحوه، وأسقطته على الأرض ثمّ صعدت فوق جسده، وكان يخرج من فمها لعاب أسود وصوت لهاثها المرعب، أصبح بين وجهيهما شعرة بسيطة، فسقط بعض اللعاب في فم عبد الله وحاول إبعاد شقيقته، ولكنّ يديه كانتا مربوطتين، وبدأ يشعر بالألم الشديد في جسده، ورأسه يهتز بشكل سريع، توسعت عينا جود ورفعت جسدها قليلاً، فُتح الباب بقوة ونظرت جود إلى الباب ورأت خلودَ التي كان شعرها مرتفعاً، وعيناها بيضاوين، وبسرعة خارقة

تقدمت إلى جود وضربتها بكف يدها لتبتعد عنه، ونظرت خلود إلى جسد عبد الله الذي بدأ يرتفع من تلقاء نفسه، والألم يشتد، وهو يصرخ بصوت عالٍ.

قفزت جود على خلود، فأسقطتها أرضاً لتضربها عدة ضربات، ولكنها لم تتأثر بشيء، أمسكت خلود برقبة جود، وطارت قليلاً بجسدها فأصبحت واقفة، وراحت تشدّ قبضتها، وملامح وجهها تتغير بشكل مرعب، وتصرخ بصوت غير صوتها، ظهرت بعض المخلوقات من العدم، وضرب أحدهم خلودَ على بطنها لتسقط على الأرض مغمىً عليها، تقدم أحد المخلوقات نحو خلود وحاول ضربها برجله، ولكنه توقف بعد أن أتته ضربةٌ من خلفه، فسقط على الأرض، وعنقه يتدلى.

نظرت خلود إلى عبد الله، فكانت عيناه سوداوين، وقد نمت مخالب في يده، وغدا أكثر طولاً، زمجرت خلود ورفعت سبابة يدها تشير إلى عبد الله للالتفات وراءه، ولكنه لم يتمكّن من ذلك، فسارع المخلوق الآخر إلى ضربه، وارتطم رأسه بالجدار بقوة فأُغمي عليه، أخذ المخلوق يركض نحو خلود التي ارتفعت عن الأرض وفتحت فكيها بقوة؛ ليخرج ذيل عقرب ويضرب رأس المخلوق الذي سقط على الأرض، كما سقطت خلود أرضاً مغمىً عليها أيضاً، ولكنّ مجموعة من الناس خرجت فجأةً وحملت خلودَ من الأرض، وذهبت بها..

استيقظ عبد الله من حلمه، والعرق يتصبّبُ من كل جسده، استند إلى الجدار، ونظر إلى يديه اللتين كانتا ممتلئتين بالدماء، نهض من السرير وخلع ملابسه ورأى الدماء من خلفه، ارتعب كثيراً وتذكر شقيقته، لم يرتدِ ملابسه وذهب بسرعة إلى غرفتها وفتحها دون أن يطرق الباب، فرأى شقيقته نائمةً ممدّدة على سريرها، والستارة مسدلة، ولكن بعض أشعة الشمس المتسلّلة تُضيء الغرفة، خرج منها وذهب إلى غرفة خلود وفتحها، فرآها تشاهد التلفاز، وقد ارتعبت لأنه كان عاري الصدر، وهي لم تكن تلبس العباءة، غطت نفسها باللحاف، خفض رأسه خجلاً إلى الأرض وقال لها: «اساعود في الحال، ولكنني سأذهب إلى غرفتي لأرتدي شيئاً!»

ذهب إلى غرفته وارتدى ملابس أخرى، ولكنه جلب معه الملابس المتسخة، ثم عاد إلى غرفة خلود التي كانت واقفة ولابسة عباءتها، وتنظر إلى عبد الله بغضب، أغلق الباب، فتقدمت إليه وصفعته على وجهه:

«كيف أمكنك الدخول إليّ هكذا؟!»

«أُقسم لك لم أدخل هكذا إلّا لسببٍ طارئ أريد الحديث بشأنه معك!»

«حسناً، أخبرني ماذا؟»

«اليوم حلمت حلماً، ولا أعلم إن كان بالفعل حلماً أو شيئاً واقعيّاً.»

«ادخل في صلب الموضوع يا عبد الله.»

أخبرها عبد الله بكل ما جرى في الحلم، وكيف أنه توقف في منتصفه، ولكنه كان يتذكر بعضَ العراك الذي حدث، ولم يكن هو المتحكم:

«لقد عاد الألم، أقسم لك!»

لم تحاول خلود تكذيبه، بل تغيرت ملامح وجهها، وأخبرته أنها حلمت الحلم نفسه، وذهبت إلى الحمام وأرته الملابس التي كانت ترتديها، وكانت متسخة وتنبعث منها رائحة كريهة.

التقى عبد الله شقيقته عند العشاء، وكانت نظراتها نحوه قاسيةً شديدةً وكأنها تتوعّده، لم يمدّ يده إلى الأكل، بل كان ينظر إلى والدته التي فاتحها بموضوع الزواج قائلاً:

«أمي، أريدك أن تعجلي بموضوع الزواج.»

نظرت والدته إليه بسرعة، وقالت:

«لماذا؟ دع الفتاة تفكر، لا تعجّل هكذا!»

«لا نحتاج إلى التفكير؛ فهي موافقة ونريد تعجيل الأمور لأسباب خاصة، واليوم نريد فعل كل شيء، الخطبة والزواج معاً، ولا نريد مناسبةً ضخمة، فقط عائلتي تكفي.»

«لكن يا عبد الله، أنت آخر أبنائي، وأريد أن أفرح بك.»

«أمي، لديك حمد يمكنك الفرح به، ولديك جود في عمر مناسب للزواج، أرجو أن تتفهمي هذا بسرعة وتعجلي في الأمر.»

«لا، لن يحدث هذا، تحلَّ بالصبر. هل فهمت؟!»

ضرب طاولة الطعام، وقال: «لن نتحلى بالصبر. خلود حامل، وأريد الاهتمام بها بكل راحة. هل فهمتِ؟!»

نهضت الأم بصدمة عن الكرسي: «ماذا؟! ولكن كيف؟!»

ضربته على وجهه، وقالت له: «حسناً، سنعجل الأمور.»

في الحقيقة، خلود لم تكن حاملاً، ولكنهما اتفقا أثناء الحديث في منتصف الليل، وكانا خائفين أن يحدث شيء ما، وهما متفرقان وبعيدان بعضهما عن بعض.

حدث كل شيء بسرعة دون حفلة ضخمة تناسب عائلة المجاج، أتى الشيخ وكتب الكتاب، وأصبحا زوجين بشكل رسمي، لم يحضر الأب ولم يكن مهتمّاً بالأمر، ولم يعد حمد إلى المنزل رغم أنه كان فرحاً جدّاً.

# الفصل الثالث عشر

# (١)

في مكتبه كان المحقق إبراهيم جالسًا، وفي يده كوب قهوة، ويمد رجليه على الطاولة، ومساعده محمد يمسك بهاتفه ويتصفح، فرأى مقولة أعجبته، ومد هاتفه إلى إبراهيم قائلاً له:

«انظر إلى هذه المقولة.»

أنزل إبراهيم رجليه، وأمسك بالهاتف:

«اصنع مستقبلك من كلمات تؤلمك في الماضي.»

ابتسم المحقق، وأعاد الهاتف إلى محمد وتحدث:

«اليوم عند استيقاظي، خطرت مقولة ببالي، وطوال اليوم كانت تتردد في عقلي.» صمت قليلاً، ثم أكمل:

«عليك أن تفهم معادلات كثيرة؛ لكي تفهم نتيجة الأرض.»

«أنا لا أفهم المقولة.»

«ليس كل ما تسمعه يجب أن تفهمه من أول مرة، اترك عقلك يفكر في المقولة، ربّما لا تفهمها الآن أو غداً أو لعدّة أشهر؛ لكنّ حدثاً واحداً يجعلك تدركها تماماً، يجب أن تعطي الحياة فرصة لتقديم نفسها لك.»

ابتسم محمد، وقال:

«لأول مرة أتفق معك، ولا أغضب من فلسفتك. كل شيء في هذه الدنيا يستحق فرصة، وأنتَ برغم حقارتك تستحق فرصة، ولكنّ لديّ فضولاً يقلقني: كيف تتحملك زوجتك؟!»

وصلت رسالة إلى هاتف إبراهيم، وقد كانت من الملازم جاسم الذي كتب فيها:

«سيدي، عاد حمد إلى السعودية، وهو الآن في مطار الأحساء، وتم توقيفه بعد ما ضُبطت بداخل حقيبته موادّ مخدّرة، وحاول بعض العاملين تهريبه، وكان من حسن ذكائك أن وضعتني هناك لمراقبة ما يجري فور عودته.»

تبسم المحقق ونظر إلى محمد قائلاً:

«المجرم التقط طُعْمه، وحان وقت دفع الحساب. هل أنت مستعد؟»

«بالتأكيد، مستعد لأوقف هذا المجرم اللعين!»

«حسناً، هيا لنذهب إلى المطار.»

خرج من القسم، وخلفه محمد الذي يحمل ملف الجريمة

والبصمات؛ لأنه سيُجري التحقيق داخل المطار في غرفة التحقيق، ركبا السيارة واتجها إلى المطار بالسرعة القصوى، وفي منتصف الطريق أتاه اتصال من الملازم جاسم:

«سيدي، المتهم يريد إجراء اتصال.»

أجابه إبراهيم:

«إيّاك أن تسمح له بذلك، وانتبه لأي شخص يعمل بجانبك، لا تسمح لهم بأن يمسكوا هواتفهم حتى آتي وأجري تحقيقي!»

أنهى الملازم الاتصال، وكان المتهم ينظر إليه بغضب شديد ويصرخ:

«أقسم لك إنها ليست لي، لقد تم وضع المخدرات في حقيبتي.»

«حسناً، لنقل إنه تم وضع المخدرات في حقيبتك، فكيف عرفت أن ما في حقيبتك مخدرات؟ ربّما يكون فيها شيءٌ آخر ممنوع. لماذا المخدرات على وجه التحديد؟!»

صمت حمد، وقال بتأتأة: «لا لا، لم أقصد هذا، أرجوك سأدفع ما تريده ولكن أخرجني. والدي رجل الأعمال رائد المجاج سيعطيك الملايين وسيرفع من رتبتك ولكن أخرجني.»

ابتسم الملازم وقال:

«هذا ما أريده. تهمة أخرى تسجل في سجلك وهي محاولة رشوة ملازم من جهة، واعتراف بأنّ والدك يدفع رشوة لرجال الشرطة.»

صمت حمد ولم يتحدث؛ لأنه لا يريد زيادة التهم...

دخل المحقق إبراهيم وألقى السلام، ثم خرج الملازم من الغرفة، وترك إبراهيم وحمداً وحدهما لإجراء التحقيق. مع مساعده

سحب المحقق الكرسي وجلس عليه، ثم رفع رجليه ووضعهما على الطاولة، وأخرج قلماً من جيبه وبدأ بتحريكه :

«حمد رائد المجاج آخر مرة التقيتك بها، كنت المتهم الأول بجريمة قتل، والآن أنت المتهم بتهريب المخدرات... إلى أين تريد الوصول؟»

«لا أريد الوصول إلى أي مكان. والدي هو السبب، هو من جعلني أعمل معه، وليس لدي أي قدرة على رفض أعماله.»

«لديك الكثير من القدرات؛ وإحداها هي المال. كان في إمكانك الهرب دون أن تكمل العمل مع والدك؛ ولكنك فضّلت العمل معه.

لا تحاول خداع نفسك ثم تحاول خداع الآخرين.»

«أقسم لك إنني لا أحاول خداعك؛ والدي يعمل مع منظمة كبيرة فاسدة ومنتشرة في كل أنحاء السعودية ودول الخليج والعالم.»

أوقف المحقق اللعب بالقلم، وقال:

«حسناً، أكمل حديثك.»

رأى حمد الاهتمام المفاجئ من المحقق، وقرّر أن يستغله:

«سأخبرك بما تريده، ولكن عِدْني أن تطلق سراحي.»

تحدث محمد، وهو يمسك بطرف الكرسي بقوة:

«أعدك بذلك.»

نظر حمد إلى محمد، وبدأ يتحدّث:

«في بداية الأمر، كانت أعمالي بسيطة، وهي إيصال رسائل أو استلام أموال من مجرمين مطلوبين عالميين، وبعد فترة وجيزة أصبح والدي يكلّفني بمهمات أكثر خطورة، وهي استلام هاويات وتسليمهن إلى جهة أخرى لبيع الأعضاء البشرية، ثم تطور الموضوع وأصبحت أدير أعمال والدي في غسيل الأموال، ومن بعدها أصبحت المدير المكلّف بتهريب المخدرات في الخليج كلّه،

أمّا المنظمة التي يعمل فيها والدي فهي منظمةٌ ممتدة إلى دول أجنبية، وتتعامل مع الدولة بشكل مباشر، ولكنها في الخليج تتعامل مع إداريين في المطارات أو أقسام الشرطة، ويتم شراؤهم بالمال...»

صمت حمد.

«ما اسم المنظمة؟!»

«أعلم أنك لن تصدقني، ولكن أقسم لك إنني لا أعرفهم، ولا أعرف اسمها. كل أعمالي موجهة من والدي مباشرةً، ولم أتعامل معهم قط.»

«حسناً، لنعد إلى صلب موضوعنا.»

ضحك حمد بسخرية، وقال: «لدينا موضوعات كثيرة. فقط أخبرني عن أي موضوع، وسأكون صريحاً معك.»

«لماذا قتلت عائلة الفتاة خلود؟»

تغيرت ملامح وجهه، وأصبحت أكثر جدية:

«لم أكن أنا القاتل.»

«إذاً من؟»

«لا أعلم، ولكنني أتيت مع عائلتي عندما كنا نبحث عن شقيقي عبد الله، وكانوا يلفظون أنفاسهم الأخيرة، وسمعت آخر جملة قالها الرجل.»

«ماذا قال؟»

«لقد عاد.. عاد ليقتصّ من عائلتي كُلّها.»

رفع إبراهيم رأسه إلى محمد، وقال له: «من تظنه يقصد؟»

أجابه محمد: «لا أعلم، ولكن الطريق ما زال مسدوداً، والمجرم طليقاً كما يبدو! يجب أن نجد حلًّا ما و...»

لم يكمل جملته، وإذا رجل، وخلفه الكثير من رجال الشرطة، يقتحمون المكان:

«لقد نبهتك يا إبراهيم أن تبتعد عن ابني.»

نهض حمد من مكانه، وقال للمحقق: «يبدو أنّ التحقيق قد انتهى.»

ردّ محمد بثقة قائلاً: «اجلس على كرسيك.»

لم ينهض إبراهيم عن كرسيه، وأدخل يده في جيبه وأخرج ورقة وفتحها، ثمّ قال بصوت عالٍ:

«لدي أمر من المحكمة العليا بالقبض على المتهمين حمد رائد المجاج، ورائد طاهر المجاج.»

التفت المحقق إلى رائد الذي بدا عليه التوتر، وخلفه رجال الشرطة الذين بدؤوا بالتراجع وخرجوا من الغرفة، أخرج محمد من خلف ظهره أصفاداً، ووضعها في يدي رائد الذي حاول ضرب محمد، ولكنه بحركة سريعة ضربه على رجله، فسقط على رأسه بقوة وراح ينزف، نهض حمد وصرخ على محمد: «سأقاضيك يا أيها اللعين على فعلتك!»

لم يتحرك رائد من مكانه بسبب إصابته التي جعلت رأسه يدور ويدور حتى أُغمي عليه، ولم يحاول محمد طلب المساعدة له، اتجه محمد إلى حمد وأجلسه بالقوة على كرسيه، وأغلق باب غرفة التحقيق وداس على الدماء التي خرجت من رأس رائد، ثم وقف خلف إبراهيم وقبض على الكرسي بقوة قائلاً:

«حسناً، لنكمل حديثنا.»

«لن أتحدث حتى أطمئنَّ على والدي.»

رفع رأسه ونظر إليه، فكان أشبه بجثّة هامدة.

«إذاً، أجعله ينزف إلى حد الموت، لن أتضرّر بهذه الفعلة.»

«لقد وعدتني بأن تطلق سراحي! أريد أن أخرج الآن.»

ضحك المحقق، وأثار غضب حمد:

«مساعدي وعدك، ولستُ أنا أيّها الأحمق.»

أبعد إبراهيم رجليه عن الطاولة، وضربها بكف يده بقوة: «لقد أعطيتك فرصة، ويجب أن تغتنمها. هل تفهم؟!»

خفض حمد رأسه، وأخذ ينظر إلى الطاولة، وعيناه تدمعان:

«حسناً، سأعترف أنني هربت المخدرات ظنّاً مني أنّ ذلك الشخص من المساعدين الذين يعملون في المنظمة، ولكنني صُدِمت عندما رأيت شخصاً جديداً، ولم أبدِ أيّ اهتمام، واعتقدت أنه شخص جديد انضمّ توّاً إلينا، وبدأ يفتّش حقيبتي بدقة متناهية ووجد حبوباً مخدرة من نوع جديد قيد التجربة.»

سمع إبراهيم صوت حركة تحدث على الأرض وعرف أنه رائد، لم يبد أيّ اهتمام، ولكنه كان يتحدث بصوت خافت، ذهب إليه محمد وانحنى قائلاً:

«أعدْ ما قلته.»

«يُسر!!!»

ارتعب محمد كثيراً، وتذكر اسم بنت المحقق، ورأى إبراهيم التوتر الذي بدا على مساعده، فقال له:

«ماذا قال لك؟»

«لا أريد أن أرعبك، ولكنه قال يُسر.»

نهض إبراهيم عن كرسيه ووقع الكرسي خلفه، ودفع الطاولة لتضرب بطن حمد ويسقط على الأرض، فلم يتمكّن من تثبيت نفسه لأنه مصفّد، ثمّ أمسك برائد من بدلته ورفعه، وهو يصرخ قائلاً:

«ابنتي! ماذا بها أيّها اللعين؟!»

ابتسم رائد وقال: «لا شيء بها، شيء واحد فقط سيبقى، إصبع سيكون لك، أمّا الباقي فسيكون لنا؛ لنستفيد من جسدها الصغير.»

وضع إبراهيم رائداً على الطاولة ممدّداً:

«أخبرني أين ابنتي؟»

كان يحاول منع دموعه، ولكنه لم يستطع، فسقط على الأرض وبدأ يبكي.

لم يحادثه محمد، بل جعله يأخذ وقته ليستجمع قواه وتفكيره، وبعد دقائق معدودة نهض إبراهيم ومسح دموعه، وأخذ القلم

الذي سقط على الأرض وأمسك بكف يد رائد قائلاً له:

«أين ابنتي؟ لن أكرر كلامي.»

تبسم رائد وبصق على وجه المحقق، وقال: «لن تجدها.»

صرخ المحقق، وضرب القلم بقوة على يد رائد فاخترقها، وفتح عينه كلّها وصرخ متألماً: «ابنتي أيّها الوغد، أين هي؟!!!»

لم يجبه، فأكمل صراخه متألّماً، وسحب القلم واتجه إلى حمد ورفع جسده، ثم ضغط على رقبته وثبته على الجدار، ونظر إلى رائد وصرخ:

«أخبرني أين هي قبل أن أقتل ابنك.»

ضحك رائد بألم، وقال: «اقتله، لن أهتم به.»

صُدِمَ إبراهيم وحمد، ولكنه لم يتوقف عن الضغط بقوة على رقبته، فتغير لون وجهه، ومن حسن حظ حمد أنّ محمداً كان موجوداً، فسحب جسد إبراهيم وحاول أن يهدِّئهُ:

«إبراهيم، لا تستمع إليه، يجب أن تتصل بزوجتك؛ لتتحقق من سلامة ابنتك.»

خرج من غرفة التحقيق، وأمسك هاتفه واتصل بزوجته، فأجابته بسرعة ولم يدعها تتحدث:

«يُسر هل هي بجانبك؟!»

«كيف كيف تعرف؟ إنها ليست بجانبي، لقد اختفت منذ ساعتين، وجعلت أشقائي يبحثون عنها ولم أجدها. أقسم لك إنها خرجت من تلقاء نفسها، ولم أعرف إلا بعد فترة.»

لم يحتمل إبراهيم حديث زوجته، وأمسك بالهاتف وضربه على الأرض ضربة قوية، فتحول إلى قطع صغيرة لا فائدة منها، ثمّ تنفس الصعداء واستعاد تركيزه، وعاد إلى الغرفة ووجد محمداً في وجهه، فقال:

«ابنتي مخطوفة. أبلغ قسم الشرطة ليبحثوا عنها في كل مكان، ويبحثوا في الكاميرات حول المنطقة، قد يجدون خيطاً يدلهم إليها، ويجب أن تشرف أنتَ على عمليّة البحث عنها، ولا تتأخّر في أي شيء يخصّ البحث عنها.»

خرج محمد بسرعة، وترك إبراهيم وحده.

( ٢ )

أتى رجال الأمن الذين يعملون في المطار ويثق بهم المحقق، وأخرجوا حمداً ووالده وأخذوهما إلى سجن القسم؛ لأنه لم ينتهِ منهما.

عاد إبراهيم إلى شقته، فوجد زوجته وأشقاءها بجانبها يحاولون مواساتها والتخفيف عنها، وعندما رأته زوجته نهضت واحتضنته وبدأت تبكي:

«لم أقصد هذا، أقسم لك. إنني آسفة يا إبراهيم، سامحني. أنا السبب أنا السبب، لن أسامح نفسي على هذه الفعلة، ولو حدث شيء لها فلن أتحمّل.»

سمع إبراهيم جرس الباب، نهض أحد أشقائها وفتح الباب، فوجد صندوقاً صغيراً، حمله وكان في هذه اللحظة إبراهيم يحاول تهدئة زوجته: «لا تخافي، لقد جعلت كل من يعمل في قسمي يبحث عنها، وإن أردتِ فسأجعل جميع أقسام الشرطة في الأحساء تبحث عنها، سأفعل ذلك.»

تكلم شقيقها راشد الذي كان يحمل الصندوق قائلاً:

«إبراهيم، انظر ماذا وجدت أسفل الباب.»

أبعد زوجته عنه، وحمل الصندوق وفتحه، فصُعِق بما رأى؛ إصبع طفلة صغيرة وفيها خاتم أطفال.

نظرت زوجته وصرخت بقوة، ولم تتحمل ما رأته وأُغمِي عليها، فأمسكها أحد أشقائها وحملها، واتصل بالطوارئ، وإبراهيم يشتعل غضباً.

خرج من شقته، وهو مسرعٌ، ركب سيارته واتجه إلى قسم الشرطة، فدخل وقد كان القسم خالياً من أفراد الشرطة، ولم يجد إلّا من كان في الاستقبال فقط، ذهب إلى مكتب مدير القسم ولم يطرق الباب، فدخل وكان الرئيس يتصل:

«حسناً، شكراً لك، سأتصل بك في وقت آخر.»

نظر مدير القسم إلى إبراهيم، ومعالم التوتر والرهبة في عينيه، فقال:

«لا تقلق، سنحاول إيجاد ابنتك في أسرع وقت؛ فقد أخرج فرد من الشرطة رقم لوحة السيارة التي اختطفت ابنتك، وهي لمقيم من الجنسية الهندية، يعمل سائق أجرة في أحد البرامج، ولكننا لم

تمكّن من التحقق أنّ السائق هو من اختطفها أو السيارة مسروقة، لذا أوكلت مهمة لبعض أفراد الشرطة من أجل تعقّب كل شخص يعرفه هذا السائق، والتحقيق م...»

لم يدعه يكمل حديثه، ووضع الصندوق على الطاولة، وقال له:

«انظر ماذا فعل بها المختشون! لن أدع رائداً يفلت من تلك التهمة، سأقتله بيدي إنْ حدث شيء لابنتي، سأكون له الموت والجحيم معاً في الوقت نفسه، سأجعله يتمنّى الموت ولا يحصل عليه، سأعذبه أشدّ العذاب، وسأريه كلّ أحلامه السوداء!!!»

«حاول أن تتريّث، ولا تفعل شيئاً تندم عليه أيّها المحقق.

فقط فكر، أنت محقق، ولن يصعب عليك إيجاد ابنتك، وأنا بنفسي سأعطيك صلاحية فعل ما تريده بالمجرم، ولكن بشرط»

تنفس الصعداء: «ما شرطك؟!»

«لا تقتله.»

ابتسم المحقق بثقة، وقال: «لا تخف، لن أقتله، ولكنني سأجعله يموت ألف مرة في اليوم.»

## ( ٣ )

«لقد وصلت معك إلى المرحلة الثانية»

دخل المحقق، وهو ممسك بحقيبة سوداء، ورائد يجلس على كرسي بغرفة التحقيق في مركز الشرطة، حمل الكرسي الذي يجلس عليه عادةً ووضعه عند الباب مستنداً إليه؛ لكيلا يستطيع أي أحد فتحه مهما كان، ضحك رائد بطريقة مستفزة قائلاً:

«لا تقلق، لن أطيل جلوسي هنا، وأنت ستصبح مشرداً لا محالة.»

وضع المحقّق الحقيبة بابتسامة خبيثة، وفتحها ببرود.

«ما هذه؟»

قال المجرم، وهو ينظر إلى الحقيبة.

«إنها لحظاتي السعيدة، وبالنسبة لك لحظاتك التعيسة!»

أخرج أداة طويلة وحادة، ونظر إليها، وهو يبتسم قائلاً:

«سيحين وقتها.»

وضعها على الطاولة، وأخرج أداة مخصصة لنزع أظفار اليد بطريقة ممتعة للمجرمين:

«فقط القليل من التلذذ، وأستخدمها.»

وضعها على الطاولة، وكان التكييف متوقفاً، ورائد يتصبب عرقاً، والتوتر يزداد تدريجيّاً:

«من تظن نفسك فعلاً؟!»

أمسك بأداة جعلته يبتسم، وقال: «هممم»

وضع كف يده عند وجهه بطريقة لطيفة، وبيده الأخرى أمسك بأداة واقترب من رائد، وما أنْ وصل إليه حتى وضعها عند خده؛ لتخرج القليل من الشرر الحارق جدّاً، ولم يستطع رائد فعل شيء، فقط هز رأسه يصرخ، وإبراهيم يصرخ عليه: «أخبرني أين هي!!!»

«حسناً، توقف توقف!» قالها رائد، وخده أصبح أسود، ودموعه تتساقط.

ابتعد عنه، وأعطاه فرصة ليرتاح ويستجمع قواه قائلاً: «لن أكذب عليك. ابنتك ميتة لا محالة، وإنْ تجدها فلن تجد إلّا القليل فقط من أعضائها، والمنظمة لن تدعني حيّاً يوماً واحداً بعد إخبارك نبأً واحداً عنهم، فهم أشدّاء جدّاً من تلك الناحية المتعلّقة بإفشاء الأسرار.»

رمى إبراهيم الأداة التي بيده، وسقط جزء بسيط منها، وأخذت

رائحة الغاز تنتشر في الغرفة، ولكن ببطء:

«أنت لن تبقى حيّاً يوماً آخر إنْ لم تخبرني عن مكانها!»

ضحك بصوت عالٍ، وقال:

«أنت مصرّ على أن ابنتك حية، وهي جثة الآن وسنخرج منها ثروة. الآن أصبحت أشلاء صغيرة، يستخدمها السحرة في بعض أعمالهم، أنت لا تعلم من تواجه أيها المحقق، سيجعلونك تندم طيلة حياتك، سيصبح الجميع ضدك حتى زوجتك!»

لم يهتم لحديثه، وأمسك بالأداة الأخرى المخصّصة لنزع الأظفار، وضرب طرف الكرسي الذي يجلس عليه رائد بقوة فسقط على الأرض، ثم جلس المحقق فوقه وأمسك يده، ودون سابق إنذار نزع أحدها ورماه بعيداً، ثمّ نزع الآخر، وصرخات العجوز لم تتوقف، ثمّ نزع واحداً آخر، وتبقى اثنان، نهض وأمسكه من شعره ورفعه قائلاً له:

«لماذا اختطفتها؟! لماذا ابنتي لماذا؟!»

قال، وهو يتألم: «لقد أخبرتك أن تتوقف عن استدعاء ابني إلى مركز الشرطة، والمنظمة غضبت بعد أن طردت الرئيس القديم، والكثير من رجال الشرطة الذين شروهم؛ فأنت أصبحت نقمة

عليهم، ولن يرتاحوا إلّا بقتل جميع أفراد عائلتك. أنت تواجه كياناً كاملاً وحدك.»

«أنا مستعد لحرق الأرض ومن عليها من أجل الانتقام لابنتي. أيّ جريمة ترتكبون بخطف الأطفال وقتلهم لبيع أعضائهم؟! ألا تخاف خالقك؟!»

«لا يوجد خالق في هذه الأرض. لا تحاول إقناع ملحد بشيء هو غير مقتنع به أصلاً! أنا في الأساس كنت مسلماً، ولكنّ المنظمة طهرتني من تلك الأفكار التي زرعتموها في داخلي!!!»

ضرب المحقق بكف يده رائداً على وجهه، لتسقط بعض أسنانه، وتنزف الدماء من لثته:

«إن كنتم تريدون القصاص مني فأنا مستعدّ للمواجهة، ولكن كن أنت مستعدّاً لهذا!»

# الفصل الرابع عشر

# الحقيقة!

«ألا تشعر أنّ كل تلك الأحداث وقعت بسرعة عالية!»

قالت خلود، وهي تنظر إلى القمر من النافذة المفتوحة، والهواء يتلاعب بشعرها، وخلفها عبد الله يجلس على طرف السرير وينظر إليها:

«لن أكذب عليك، ولكنني أتفق معك أنّ كل ما حدث شديد السرعة.»

خلود تخرج همهمة بصوت خافت، ولم يسمعه.

«أريد أن أخبركِ بشيء.»

التفتت خلود وابتسمت قائلة: «نعم، أخبرني.»

« قبل فترة من ضياعي في الصحراء، لقد حلمت بأنني تائه، وأواجه خطراً قادماً، والآن عرفت هذا الخطر.»

«من مصدر الخطر؟!»

«إنه أنتِ مصدر الخطر؛ فقد أوقعتِ قلبي عند ضياعي وشرودي، وأعدتِ لي رشدي وعقلي.»

صمت قليلاً ليمعن النظر في ابتسامتها التي هزّت كيانه، ثمّ أكمل: «خلود، أشعر أنك النصف الضائع مني، والآن أصبح قلبي مكتملاً بك.»

لم تفارق الابتسامة وجه خلود، وقالت:

«لطالما كرهت اسمي، ولكن عندما ناديتني به شعرت لأول مرة بأني أحبه.»

صمتت ثواني، ثم أكملت:

«كانت حياتي رمادية ومملة حتى صادفتك، ووجدت بك الحياة.»

بدأت تتقدم نحوه، وعندما وصلت إليه قالت بصوت خافت:

«الآن أنت ملكي، وأنا ملكك. سأسلمك المفتاح الذي سيفتح قلبي لك.»

انحنت له وقبّلته على خده، فكاد قلب عبد الله يقفز، وتسارعت دقاته، وبدأ يتعرق، ابتعدت خلود عنه وجلست على الأريكة، ثم تمددت وأغمضت عينيها.

كان ينظر إلى الأريكة، ودقات قلبه تزداد بقوة، فقال لها بصوت مسموع:

«أشعر أن قلبي يريد أن يقفز إليك ويلتهمك، ولم أشعر بهذا الشعور قط، إنه يكاد يقتلني من شدة حرارته.»

تبسمت خلود، ولم يحظَ عبد الله برؤية تلك الابتسامة القاتلة.

## ( ٢ )

الأحلام تأتي على هيئة من نحب؛ لكي تسلبه منا...

هدوءٌ يكسره صوت فتح الباب بخفة شديدة

يُفتح الباب بأكمله

تدخل جود، وهي ترتدي ملابس سوداء وتغطي شعرها،

خلفها قزم صغير لديه قرن في منتصف بطنه، ولون جسده أخضر.

«اربط تلك اللعينة!»

قالت بصوت خافت

تقدم القزم نحو خلود النائمة، وأخذ يسحب اللحاف بخفة، لم تشعر هي بتلك الحركة، وبعد أن انتهى وقف فوق رأسها، وبدأ يهمس بصوت خافت بكلمات غريبة، وحين انتهى ابتسم بخبث، ثم ذهب إلى سيدته التي تخطو خطوات بطيئة، وقد وصلت بجانب شقيقها وقالت بصوت خافت:

«ستعود ملكي.»

ارتفعت عن الأرض حتى وصلت إلى ارتفاع السرير، ثم هبطت

عليه وبسرعة جلست على بطن عبد الله؛ ليقفز القزم عند كتف جود، وفي تلك اللحظة شهق عبد الله خوفاً وفتح عينيه على منظر شقيقته الشمطاء وملامحها المرعبة، حاول النهوض ولكنه بسرعة ودون حركة من أي شخص، هبط في السرير بقوة، ولم تعد له القدرة على الحركة وكأنّ قيداً رُبِط حول جسده، حاول التحدث ولكن لسانه كان مربوطاً، وكل ما يخرجه صرخات داخلية تشبه الهمهمة، وضعت جود إصبعها عند فمها، وقالت بصوت حاد: «أوششش!»

ضحك الشيطان بصوت عالٍ، وقال:

«الأمور ستعود كما كانت وأسوأ!»

التفتت ونظرت إلى الشيطان مبتسمةً، وقالت:

«هل أنت مستعد يا خبث؟»

هز برأسه موافقاً.

التفتت إلى أخيها الذي كانت نظراته مرتعبة، ودموعه تتساقط بغزارة، مدت يديها كلتيهما نحو فمه، وفتحته بقوة ليطلق صرخة نوبة.

# (٣)

شهقة قوية تخرج من خلود، وتنهض بسرعة وتسند ظهرها إلى الأريكة، وتضع يدها عند قلبها، كانت سريعة جدّاً وشعرت بخدر في يدها، نظرت إلى المكان حيث الشامة، فكانت شبه ممسوحة، لم تهتم كثيراً والتفتت بجانبها ورأت عبد الله واقفاً فوق رأسها مبتسماً مدّ يده ليصافحها، وقال بحماس: «أنا عبد الله.»

نظرت إليه باستغراب، وقالت: «أعلم ذلك!»

لم تفارق ابتسامته وجهه، فقالت له:

«أأنت بخير؟»

ضحك بطريقة غريبة وأبعد يده، ثم قال:

«إنني أمازحك يا فتاة. ما بالك؟!»

ابتسمت خلود بتوتر، وبدأت تمسح وجهها بيديها، وبعد أن أبعدت يدها، بحثت عن عبد الله ولم تجده، فنهضت من مكانها وبحثت عنه ولم تجده، قررت الذهاب إلى الحمام، وبالفعل ذهبت وفتحت الباب ولم تجده، دخلت وأغلقت الباب، فتحت صنبور المياه وغسلت وجهها وأغلقته، ثم نظرت إلى نفسها في المرآة،

فوجدت جرحاً خفيفاً عند جبهتها، وكانت الدماء جافة، أعادت فتح الصنبور ومسحت مكان الدماء حتى زالت، وفجأة خرج صوت مواء خلفها، نظرت ووجدت قطة سوداء عيناها بيضاوان، تبتسم!

تراجعت إلى الخلف كثيراً، وقد كان البانيو خلفها، فسقطت وارتطم رأسها، لم تتألم كثيراً، نهضت والخوف الشديد يملأ قلبها.

مسحت مكان الضربة، ونظرت إلى المكان الذي وجدت فيه القطة، ولكنها لم تجدها مرة أخرى!

خرجت من الحمام، ورجلاها لا تستطيعان حملها كثيراً، وسقطت أمام الأريكة، دخل عبد الله وكان ممسكاً بصحن فيه طعام، نظرت إليه بخوف شديد وكأنها رأت عفريتاً خبيثاً، تقدم إليها ووضع الصحن على الطاولة، وبسرعة انحنى بجانبها وأمسك يدها:

«أنتِ بخير؟»

ظلت تتنفس بسرعة، وكأنها قد أصيبت بنوبة صدمة:

«خلود، أخبريني هل أنتِ بخير؟!»

وضعت يدها عند الجرح، ويدها ترجف، قائلةً:

«لم أصب بجرح في حياتي قطّ، والآن لدي هذا الجرح!»

ابتسم عبد الله ثم ضحك بشدة، فنظرت إليه بصدمة، وقال لها:

«لقد اعتقدت أنّ شيئاً خطيراً قد أصابك يا فتاة.»

«نعم، لقد أصابني شيء خطير، انظر إليه، أخبرك أنني لم أصب بأي جرح في حياتي، والآن تخبرني هكذا!»

«ماذا تريدين أن أفعل؟!»

نهض من مكانه وهو يبتسم، ثم بدأ يعبث بيده بطريقة غريبة، وقال: «انتظري، سأصنع لك تعويذة تعيد سحرك الذي يحميك.»

ثم انفجر ضاحكاً، فسقط على الأرض واضعاً يده على بطنه، وخلود تنظر إليه بصدمة شديدة، لم تتحمل فنهضت من مكانها وخرجت وأغلقت الباب بقوة، ثم راحت تمشي في الرواق بسرعة ونزلت السلالم، وحين وصلت إلى الأسفل فوجئت بوالدة عبد الله التي كانت شديدة التوتر ولم تلقِ لها بالاً وخرجت من المنزل مسرعة، فقالت خلود في نفسها:

«ما بالهم؟!»

خرجت تسير خلفها، ورأتها تستقبل امرأة كبيرة وفتيات

متسترات، حيتهن، ثم أشارت إلى مجلس ضخم للنساء وذهبن إليه.

انتظرت خلود دخولهنّ ثم ذهبت إليه بسرعة، وهي تمسح دموعها بكف يدها، كان فيه العديد من النوافذ المغلقة بالستائر، وصلت إلى الباب وحاولت فتحه، ولكنه كان مقفلاً، بدأت تمشي ورأت إحدى النوافذ التي لم تكن مغلقة بالستارة، فنظرت وكان المجلس مظلماً، والنافذة هي المنفذ الوحيد للضوء، ورأت والدة عبد الله واقفة أمام المرآة الكبيرة، والفتيات اللواتي خفضنَ رؤوسهنّ، ومن حسن حظها أنّ الصوت قد تسرّب إليها، وكانت مصدومة بحق مما تسمعه...!

## (٤)

«كيف تقولين ليس لديك المال لتسديد ما أعطيتك؟! لقد أخبرتك بالتسديد في هذا اليوم، والآن تأتينني بيد خالية؟!»

قالت أم عبد الله بغضب شديد.

تحدثت المرأة بخضوع وخوف: «أرجوك يا سيدة حليمة أن تعطيني فرصة أخرى للتسديد.»

رفعت حليمة يدها وصفعت المرأة التي تكبرها بعشرين سنة، فسقطت على الأرض، والفتيات لم يتحركن من شدة الرهبة، بدأت تضربها برجلها بقوة حتى خرج الدم من فم المرأة وبدأت تبكي بشدة، ولكنها لم تهتم ببكائها ووضعت رجلها على عنق المرأة، وأخذت تضغط عليه بقوة حتى لفظت المرأة آخر أنفاسها وماتت خنقاً، وبدأت الفتيات بالبكاء والنحيب والسقوط على الأرض، التفتت حليمة نحو الزاوية، وهي تنظر إلى مجموعة من الخدم يرتدون ملابس سوداء، ويحملون شموعاً حمراء مشتعلة، وقالت:

«احملوا جثتها وأخرجوها وادفنوها في أي مكان، واجعلوا بناتها يعملن في التسول حتى يسددن المال الذي على والدتهنّ، والمدّة

المسموحة شهران فقط، وإنْ لم يسدّدن المال فاقتلوهنّ دون رحمة!»

تقدم الخدم وحملوا المرأة وأخذوها إلى الخارج، ونهضت الفتيات من الأرض وخرجن خلفهم...

# (٥)

كاد قلب خلود أن يسقط من هول المنظر الذي رأته من والدة عبد الله، وقد عرفت أن اسمها حليمة، وهي قاتلة.

خرج مواء قطة من خلفها، فالتفتت بسرعة لتجد تلك القطة السوداء، وقد كان ذيلها مرفوعاً وثابتاً، ولم ترمش قطّ، وفجأة التفتت وبدأت تمشي بخطوات سريعة، وفي الوقت نفسه فُتح الباب وخرج الخدم.

ركضت خلود خلف القطة التي لم تتوقف إلّا عند عدد من الأشجار، وقد كان المكان مظلماً قليلاً، جلست القطة على ذيلها وبدأت بالمواء، نظرت خلود إليها باستغراب، وفجأةً سمعت صوتاً يخرج من فمها يقول:

«أنتِ في وسط حرب، ولا يمكنك الخروج دون أن تأخذي ثأرك!»

قالت خلود بحذر وخوف من هذا المنظر:

«أيّ ثأر؟!»

«ثأر النساء اللواتي قُتلن على يدها، وعلى يد الأب والابن

والبنت. أنتِ بين عائلة مجرمة، وإنّ دخولك عليهم كان خطأً كبيراً. لقد حاولت حمايتك، ولكن ذلك الشيطان اللعين أبطل الوسم الذي وضعته والدتك عليك، ولن أقدر على حمايتك بعد اليوم، ولكنني أريد تحذيرك من عبد الله، فهو لم يعد كما كان، وأصبح تحت رحمة شقيقته؛ فهي ساحرة لعينة فعلت سحرها وجعلته تحت سيطرتها، وكان شبه مجنون، ولكن بعد أن ذهب إلى تلك الطبيبة، حررته من الشيطان الذي كان مسيطراً عليه، وأنا من كان يمنعك من الدخول إلى الغرفة؛ لأنّ قرين الطبيبة كان يتعارك مع الشيطان، ومن حسن حظها أنه تغلّب عليه وطرده من جسد عبد الله، وأمس أتت شقيقته إلى غرفتكما في وقت نومكما، وأعادته إلى جسده، وهذه المرة لن يعود عبد الله!»

لم تستطع الحديث؛ لشدة صدمتها بعد سماع كلام القطّة!

# الفصل الخامس عشر

## (١)

«يا ملك الملوك»

«يا ساحر العيون»

«يا مقلب الأحوال والحياة»

«إنني أهبك تلك القطة السوداء قرباناً إليك!»

ترتفع عن الأرض مسافة كبيرة، وشعرها يتطاير،

ترفع رأسها، وتصبح عيناها بيضاوين، وتطلق صرخة قوية،

ثم تبتسم وتنظر إلى الأسفل، وترى

شيطاناً ضخماً ينظر إليها باشتهاء، وهو يضع يديه بعضهما فوق بعض:

«لقد قبلت قربانك، ولكنني أريد شيئاً آخر.»

«اعتبر أنني قبلت طلبك الآخر يا سيدي.»

«أريد جسدك الليلة.»

ابتسمت بخبث وقالت:

«لك هذا!»

اختفى الشيطان، وسمعت صوت حركة من خلفها، وكان عبد الله ينظر إليها، وهو يبتسم، ثمّ تقدم نحوها وقبّلها، ولكن جود غضبت وقالت:

«لا تقبلني بجسد أخي، أشعر بالتقزز!»

ابتسم لها وقال:

«أوامرك تُنفّذ يا أيتها اللذيذة، لا أريد أنْ يتمتع أحدٌ بك غيري، ولكن بما أنّ هذا الشيء يساعد على الوصول إلى هدفنا، فسأفعل المستحيل، ولو طلبك إبليس فسأعطيه.»

ضحك وضحكت جود معه، ثم تغيرت ملامحه، وقال:

«كيف نتخلص من تلك العاهرة؟»

«كما قتلنا عائلتها لنتخلص من كل من يملك وسم خدماموش، سنقتلها بعد أن تخلصنا من وسمها.»

صفّق خبث وقال: «أشعر بالفخر بك وبخبثك الشديد، لا أعلم كيف فعلتِ كل هذا، جعلتِها تحب شقيقك، وأتيتِ بها إلى المنزل بكل سهولة وكأنها لعبة بيديك، والآن سنتخلص منها، ونسيطر على الملك خدماموش ليكون أحد مساعدينا.»

تقدمت جود إلى الطاولة، وجلست على طرفها، ثم نظرت إلى خبث، وقالت:

«حلمي سيتحقق قريباً، وأستولي على العرش.»

أشارت إليه بيدها أن ينصرف، ولكنه قبل أن ينصرف طلب إليها طلباً أخيراً:

«هل يمكنني أن أتمتع بها قليلاً؟»

قالت له دون اهتمام: «افعل ما شئت بها.»

## (٢)

الحياة ستمطر علينا خيبات أمل كثيرة؛ لتجعلنا ندرك ما نمر به، فهي مليئة بالفخاخ، وإن فعلت شيئاً فستجن بسببها، لذا تحمل واصبر؛ لأنه بعد خيبات الأمل ستشرق الشمس علينا من جديد.

اختفت القطة فجأة بعد أن قالت:

«سأحاول الدفاع عنك. أنتِ آخر فرد من سلالة عائلتك، ويجب الحفاظ عليك وعلى الذي في بطنك.»

لم تتحرك خلود من مكانها، فقد تجمدت وقالت في نفسها:

«هل هل أنا حامل؟! لكن كيف؟!»

عادت إلى المنزل، وعندما دخلت كانت حليمة في استقبالها، والابتسامة لم تفارق وجهها، في بداية الأمر رحبت بها، ثم قالت لها:

«هل العاشقان بخير؟ لماذا أراك متجهمة وخائفة؟!»

اقتربت منها باهتمام، ولمست الجرح قائلةً:

«هل هذا جرح؟ من الذي تسبّب به؟ أهو ابني عبد الله؟»

لم تتحدث خلود خوفاً من سخطها.

«هيا، أخبريني من فعل بك هذا؟»

تحدثت خلود بعد إلحاح لم يتوقف:

«لا، لم يكن عبد الله المتسبب.»

سمعا صوتاً أتى من السلالم: «لا، بل أنا المتسبّب.»

ثم ضحك بصوت عالٍ.

لم تحتمل حليمة ضحكاته وذهبت إليه، وهو بدأ بالنزول، وصلت إليه وصفعته، فلم يظهر عليه أنه تألم، ولكن ملامحه تغيرت، وقال غاضباً بصوت حاد:

«لقد انتهى زمن ابنك الأحمق.»

تراجعت حليمة إلى الخلف، وقالت: «ماذا تقصد؟!»

تكلمت خلود، وكانت خلف حليمة: «بل أخبريه من أنت!»

نظر خبث إليها وتكلم، وهو يتقدم أمام حليمة، وهي تتراجع:

«أنا تلك اللعنة التي أصيبك بها بالحب، وآخذ روحك بالقتل!»

سقطت حليمة على الأرض، وأصبح خبث فوقها، وبدأ رأسه يهتز بشدة حتى تغير وتشكل بوجه شيطان مخيف، انحنى وأمسك برقبتها ورفعها عن الأرض، ومن الجهة الأخرى كانت خلود على

الأرض تحضن ركبتيها مغمضة عينيها، ضغط بقوة على عنقها، ثم مد يده الأخرى وأمسك بشعرها ورفعه بقوة لينفصل عن جسدها، والدماء تنزف بغزارة، وهو يضحك بشدة، وخلود ترجف من الخوف الشديد الذي سيطر عليها، أمسك بيديها ورفعها لتقف على رجليها، وهي مغمضة العينين، ثمّ صرخ بحدة وقال:

«انظري إليّ!»

لم تفتح عينيها، فضرب برجله على الأرض بشدّة، فتحت عينيها ونظرت إليه بخوف وكادت تتبول على نفسها، لم تتحمل المنظر فأغمضت عينيها، ولكن ملمس يد خبث قد اختفى، ثم فتحت عينيها ورأت أنها في الغرفة وخلفها السرير، بدأت تبحث عن خبث، ولكنها لم تجده، وبعد لحظات سمعت صوت باب الحمام يُفتح، ثم يخرج منه خبث عارياً تماماً، صرخت خلود من قبح المنظر ووضعت يديها على وجهها، وكان صوت خطواته مسموعاً وهو يتقدم، أمسك بيديها وأبعدهما بقوة لتراه أمام وجهها، ودون أن تشعر دفعته إلى الخلف، ولم يكن يتوقع هذا الشيء فسقط على الأرض، نهض بسرعة ودفعها إلى السرير، وبدأ يحاول تمزيق ملابسها:

«أرجوك، توقف توقف!»

ضحك خبث، وقلد صوتها بشكل مضحك: «أرجوك، توقف توقف!»

لم يتوقف عن تمزيق ملابسها، لكن خلود وضعت يدها في جيبها، وأخرجت خنجراً صغيراً أعطتها القطّة إيّاه، وبسرعة طعنته في صدره، لم يتوقف خبث عن محاولته، ولكنه ابتعد عنها وبدأ يترنح وكأنه سكران، بدأ وجهه يتغير، تارة يكون وجه عبد الله، وتارة يكون وجهه المخيف.

سقط على الأرض بعد أن ثبت له وجه عبد الله، وفجأة فتح فمه وصرخ بحدة حتى انقطعت أنفاسه، ثم بدأ يرتفع عن الأرض ويدور ويدور، ويخرج العديد من الصرخات، توقف فجأة عن الدوران وفتح فمه لتخرج منه يد صغيرة، ثم اليد الأخرى تتشبث بفمه، ثم أخرج الرأس، وبعدها أخرج جسده بالكامل، سقط جسد عبد الله والقزم، كان ينظر إلى خلود وهو يترنح، بدأ يركض إلى الخارج ولكنه اصطدم بالجدار وسقط، ثم نهض بسرعة وهرب.

تقدّمت خلود إلى جسده، وقد كانت عيناه مفتوحتين، والدم يخرج من فمه، قال لها والدموع تنهمر من عينيه:

«أنا أنا آسف. لقد حاولت مقاومته، ولكنه كان أقوى مني هذه المرة، ولم أعد أسيطر على جسدي.»

حاول رفع يده ليلمس الجرح، ولكنه لم يقدر على الحركة، فقالت خلود وهي تبكي:

«لم أقصد فعل هذا. آسفة آسفة، أنا غبية؛ لأنني سمعت كلام ذلك القط اللعين الذي تسبّب بفعلي هذا!»

«لا يا خلود، أنتِ شجاعة جدّاً، وأقوى مما كنت أتوقع!»

بدأ يكح بقوة، والدماء تخرج منه قائلاً:

«أنا أحبك بالفعل.»

ابتسمت خلود، وهي تبكي: «إذاً، ابقَ معي ولا ترحل.»

«سأحاول بكل ما أقدر، ولكنني لا أعدك بذلك.»

بدأ يكح بشدّة، والدماء تخرج بغزارة، ووضعت يدها على فمه لتمسح الدماء، فانتبه عبد الله ليدها ومكان الوسم القديم، فأخبرها عن شيء أدركه متأخراً:

«الوسم هو الذي كان يمدني بالقوة لأكون بطبيعتي معك، وكلما حاول خبث أن يتحكم بجسدي كان الوسم يمدني بتلك القوة التي لا أعرف لماذا... شكراً؛ لأنك كنتِ بجانبي...»

وفجأة توقف عن الكح، لم تصدق خلود جمود حبيبها، ووضعت يدها على قلبه فلم يكن ينبض، ثمّ وضعت رأسها على صدره وبدأت تبكي بحرارة...

وفجأة سمعت عدة أصوات في الغرفة، وكان منها صوتٌ عالٍ لشخص يقول:

«يوجد شخصان هنا.»

لم ترفع خلود رأسها وبقيت مكانها،

ولكنها سمعت صوتاً من خلفها:

«أنا المحقق إبراهيم، وقد أتيت لكي أسألك عن ابنتي.»

قالت خلود بصوت مهزوم: «لا يوجد فتيات هنا. ارحل ارحل.»

«أرجوك. إنها ابنتي لم يتعدَّ عمرها ثماني سنوات، أرجوك ساعديني.»

كان في صوته حزنٌ ولهفةٌ وخوفٌ على ابنته، فردّت قائلةً:

«لا توجد فتاة صغيرة هنا.»

سقط إبراهيم على الأرض وصرخ بصوت عالٍ، وخلفه رجل

يربّت على كتفه، تقدم شخص وأبعد خلود عن جثة عبد الله، ولكنها قاومته بشراسة، ثمّ تقدم شخص آخر ليفحص الجثة، وقال بنبرة عالية:

«إنه ميت بطعنة.»

نهض المحقق إبراهيم، والدموع في عينيه، تقدم نحو خلود وقال لها بغضب:

«خلود ابنة جفار الأجريان أنتِ متهمة بجريمة قتل شخصين!»

تقدم شرطيان إليها وأمسكا يديها، ثم رفعاها وصفّدا يديها، لم تقاوم ولم تبدِ أي ردة فعل، حتى إنها لم تطلب أن تلبس ما يسترها من رجال الأمن، لم يعُد شيء يهمها في هذه الحياة، فقدت كل شيء جميل.

وبعد بضعة أشهر في السجن، ظهرت عليها ملامح الحمل وما يرافقه من تعبٍ، وقد خرج ذلك القط ذات يوم، وقال بصوت خافت لها:

«الطفل عندما يخرج منك سيكون لنا.»

نظرت إليه برعب، وقالت: «لن أسمح لك بأن تمسه.»

وضعت يديها عند بطنها لتحميه.

«ذلك ما اتفقت عليه مع عائلتك؛ أول طفل من كل جيل يكون لنا لنعلمه كل ما يحتاج إليه لكي يصبح جندياً لدينا. نحن لدينا قضية، ونجمع الأطفال لنربيهم لخدمة تلك القضية.»

لم تتحمل كلام القط اللعين، وصرخت بقوة:

«لن أجعلك تمس طفلي، ولن يكون معكم!!!»

بدأ القط يتلاشى من المكان، ودخلت الطبيبة لترى خلود في حالة يرثى لها، وهي تصرخ وتردد اسماً كانت تسمعه في كل ثانية يمر بها:

«جنزام جنزام جنزام!!!»

لا أعلم إن كان ما سأكتبه لك سيصل إليك أم لا، ولكن ما حدث قد حدث، وأنا أشتاق إليك كثيراً، أريد أن أفرغ مشاعري، وأنتِ كنتِ ممسكة بذلك الوعاء الذي يتحمل كل ما في داخلي، أحبك كثيراً وأفتخر بحبك وليعلم الجميع ذلك؛ فأنتِ كائن نادر في هذه الحياة، ولندرتك طمعت بك حبّاً وأردتك لي زوجة. هل ستصبحين زوجتي في وقت ما؟ لا أعلم، ولكنني أريدك لي فقط لا لغيري، سأفعل المستحيل لك ولأجلك ولأجل حبنا... سأواجه ذلك الملعون، وأنتقم منه لأجلك!

«فايرون»

المرحلة الثانية لم تبدأ...

النهاية...

في غرفة مظلمة،

كان صوت أنين شخص يخرج من شدة الألم،

ودموعه تسقط.

خرج شيطان ضخم عارياً

وتقدم أمامه

«انتهيت منك يا جود، وأعرف تفكيرك للاستيلاء على العرش»

رفعت جود رأسها لترى يده الضخمة تمسك برأسها

وتضغط عليه بقوة لتتفجر أشلاء رأسها بيده وكأنها لا شيء.

سقط جسدها، واختفى الشيطان،

ومن العدم ظهر شيطان قزم، وسقط أمام جثة جود، وبدأ يبكي

ويبكي بشدة وقال:

«فقد خبث خبيثته»

صرخ بصوت عالٍ

«أغلقوا الكتاب. عليكم اللعنة!»